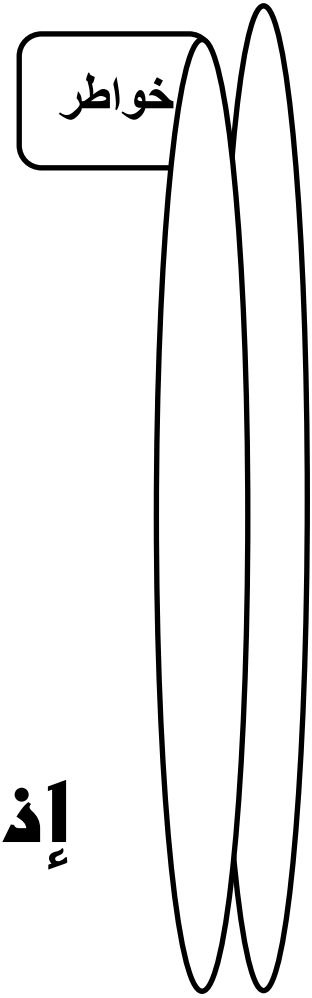

إذا أينـع الخاطر

د. تيسير السعيدين

إذا أينـــــع الخاطر

(مجموعة خواطر)

2023

التصنيف

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2023\4\2026)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب

عنوان الكتاب إذا أينع الخاطر

تأليف السعيدين، تيسير حسين علي

بيانات النشر إربد: تيسير حسين علي السعيدين، 2023

رقم التصنيف 819،9

الواصفات الخواطر الأدبية\\الأدب العربي الحديث.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه، ولا يعبّر هذا عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أى جهة حكومية أخرى.

كافة الحقوق محفوظة للمؤلف

- تنسيق والاعداد الطباعي: محمد فتحي المقداد.
- تصميم الغلاف: حسين تيسير السعيدين.
- الطباعة: مكتبة دار الطلبة ، إربد

كاميرات

احتفظت المدرسة حتى زمن قريب بهيبة تجعل المرء يحس بالقداسة : إجلالا أو مهابة لها كلما مرّ قرب أسوارها ذات الهيبة والوقار في النفوس، وفي كثير من الأحيان لم يكن لها أسوار أصلا، ويحس المار قربها أنها البيت الثاني لكل أبناء المجتمع، فهم يذبّون عنها ذبّهم عن بيوتهم التي يسكنونها، لأنها تعد ابنة المجتمع أصلا، فعلى سبيل المثال - وليس الحصر- من باب تنمية قيمة المشاركة في تقديم ما هو نافع للمدرسة، فقد كانت توزع شجيرات المدرسة – في المجتمعات البسيطة - على طلابها، كي يحافظ كل واحد منهم على شجيرته ويهتم بها، فيقوم برعايتها وسقيها والاهتمام بها، فظلّ هذا الأمر مرعيّا وموجودا حتى جاءت الأزمان الرديئة، فقلّ الانتماء إلى المجتمع المدرسي، وكثرت الاعتداءات على المدارس بالإيذاء والتخريب أو السلب والسّرقة، فصار لا بد من حراستها بفريق متفرّغ لهذه الغاية، فتم وضع الحرّاس الذين لا يحرسون للذود عنها، وصارت الحراسة وسيلة للارتزاق والعيش، دون تقديم أي عمل في كثير من الأحيان، ثم ابتكر أساطين الاستيراد من المتنفّذين الكاميرات المشؤومة التي تسجل كل شيء أمامها ، لتضع الخاتم على

المضبطة التي تشير إلى فشل مؤسساتنا التربوية فشلا ذريعا، ابتداء من المؤسسة التربويّة الأولى(الأسرة)، ومرورا بالمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام وانتهاء بالمدرسة، ولتدل على الفشل الذريع في المجال التربوي بمفهومه الواسع، إذ صارت المؤسسة المعنية بالتربية عاجزة عن حماية نفسها إلا بوسائل خارجية، فهل بعد هذا الفشل الذّريع من فشل؟.

قيادة

عرف الإنسان منذ نزل على سطح الأرض بعلاقة حميمية وولع مع السلطة والجبروت، وعشقه للسيطرة والاحتواء سواء بسواء، ولكن مفهومه لهذه السيطرة والسلطة تغيّر قليلا مع تطور فكره ونمط الإدارة التي يتبعها في إدارة أي شأن من شؤون الحياة كبر أم صغر، وفي التعامل مع الأزمات التي تعصف بمركبه، ومقتضيات هذه الحياة؛ فمن مدير يقود مجموعة من الأفراد يصنعون له القرار على تؤدة وأناة، ثم يقدمونه له ليقوم باتخاذه، ومن محتكر لصناعة القرار واتخاذه معا بحيث لا يسمح لغيره بمده بمشورة في أي شأن من الشؤون، فالنوع الأول يستفيد من آراء الفريق الذين يكونون معه ، فيرى المشهد بصورة شمولية، ولكن النوع الثاني لا يرى العالم إلا من خلال نظرته الشخصية الفرديّة التي قد تكون قاصرة أو ضيّقة، لأنه يستهين برأي أفراد الفريق الذين ينضوون تحته، ومن هنا كان من أساسيات الأدب الإداري أن القائد الفذّ هو من يربّي حوله مجموعة من الأعضاء، وكل واجد منهم يصلح أن يكون قائدا، وذلك من خلال عملية الإلهام التي يلقيها في روع كل واحد منهم، أما محتكر السلطة فهو لا يجني سوى الخيبة والخسران، حتى إن فريقه ينفرط عنه بين عشية وضحاها :طال الزمان أو قصر، فليبق رهين اللوثة التي مني بها، وليجن الثمار المرّة التي يقطفها من زرعه الغث والأثل والسدر القليل.

التربية بالردع الاجتماعي

لعل من طبيعة الحياة أن يكون فيها من المنغّصات والمشكلات الكثير، سواء في جانب أو آخر منها، ولعلّ من الطبيعي كذلك أن تكون هناك أدوية ومعالجات وحلول لكل واحدة من هذه المنغصات والمعضلات ، فليس ثمّة ما هو عصي على الحل عندما تسير الأمور سيرا طبيعيّا، ولكن النفوس البشرية تتباين علوّا وانخفاضا في هذا المستوى، فهي تتراوح في ذلك بين الإذعان والقبول بما يطرح بكل بساطة، حيث تكون الفطرة والتنشئة سليمتين، والإصرار والرفض السافر وعدم القبول البتة عندما تكون النفس موغلة في التلجلج، إذ هناك من يرتدع بالتفاهم والحوار العادي البسيط، وهو أقرب الأنواع وأسهلها وأقربها من الحق ، لأن لديه من الطيبة ونقاء الفطرة وكرامة المنبت مما يسهّل التعامل معه وإقناعه، ولكن هناك من الناس من لا يرعوي عن الغي الذي يكون منغمسا فيه انغماسا كبيرا، فلا يذعن للحق الذي يعرفه الذّوق السّليم، إلا بتقديمه إلى القضاء والمحاكمة، لأنه متلجلج في الحق إلى حدّ كبير، وهو موغل في العناد وماهر في المراوغة عن الحق والتّملّص منه بأكثر من طريقة وأسلوب، ولكن أسوأ الأنواع ممّا هو موجود في المشهد، من لا يرعوي لا بمحاورة من أهل الفهم ولا بقضاء البتة، لأن لديه من

(كاريزما) الشخصيّة ما هو على درجة كبيرة من الغرابة، بحيث يستطيع من خلالها الإفلات من كل الالتزامات والتحلل منها، بل ربما تمادى في ذلك، فاستخدم الفجور والافتراء في الخصومة ،لأن طبيعة الغدر والتعالي والعنجهيّة متأصّلة فيه حد الثمالة، والغدر صفة ملازمة للذئاب، فمثل هذا الصّنف من الناس، لا يجدي معه الأسلوبان السالفان (**المحاورة والقضاء**)، فيستلزم استخدام أسلوب آخر بعيدا عن الإثنين، وهو أسلوب الضغط المجتمعي وسيلة لأطره على الحق والإذعان إليه، وأن يجد ذاته منبوذا في السرب الذي يعيش فيه؛ أيا كان هذا السرب: عشيرة أو حيّا أو منطقة أو قرية أو مجتمعا، فهذا جزاء من أراد تعكير صفو المجتمع، والاجتراء على قيمه وسلمه الأهلي، وتعكير العلاقات التي ينظر لها أن تكون متماسكة بين أفراد المجتمع، وبخلاف ذلك فإن شروره وأذاه، ستطال فئة كبيرة من أبناء المجتمع المحيط ،ولن يكون أحد بمنأى عن أذاه ما دام المجتمع منافقا ومداهنا ويخشى قول كلمة الحقّ، وليعلم أن أول ما نزل السخط والمسخ ببني إسرائيل، أنهم كانوا يمالئون أهل الباطل ويندمجون معهم في التعامل وقبول منطق تعاملهم، فكان أن نالهم ما نالهم من سخط .

أصالة

لم يدر بخلدنا يوما أننا سنتحسر على بيوتات كانت بسيطة إلى أقصى درجات البساطة، مع أنها تفتقر إلى كثير من مقومات الرفاهية والكماليات المعاصرة التي أرهقت حياتنا بشكل ذريع، ولكن بين جنباتها كل متطلبات الرفاهيّة والرّاحة التي تقتضيها حياتنا المعاصرة، فصار إنسان هذه الأيام يمارس حياته بكل رتابة وروتين، ولكنّها أرهقته بكثرة الالتزامات والمتطلبات، فتجده مثل المذعور الذي لا يدري أين يولي وجهه من كثرة ما هو مطلوب منه، لاستمرار الحياة كما أعيد تشكيلها في العصور الحديثة، فهي لا تكاد تتوقف عند حد، حتى إن الخصومة فيها كانت ببساطتها ذاتها، فسرعان ما يؤوب المخطئ إلى رشده تحت الضغط الاجتماعي، الذي لا يحترم المخالف مهما علت منزلته أو ارتفعت درجته ، لأن ذلك المجتمع لم يكن سالكا لأساليب المكر وفنون الافتراء والتجني المعاصرة، مما نشاهده يوميا في المشهد المنظور، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي التي قربت منا ما كان بعيدا: إيجابا أو سلبا .

رحم الله تلك الأزمان التي قامت على الطيبة والتعايش الجميل، ولكنها اندثرت باندثار أصحابها، وولت فلم يبق منها غير طيب ذكر أصحابها !

أطلال

القيام بجولة صباحية في مرابع الصبا ومواطن الأحلام ومنشأ الطفولة، من الأمور التي ترتاح لها الذات، على ما يجري في الذاكرة من تداعيات، فتتنسّم عبرها عبق الأيام التي مضت، وتسرح فيها بين بساتين الذكريات الجميلة الماضية التي اندثرت، فلم يبق منها إلا أطلال دارسة، طارحة وراءها كل روتين الحاضر ومشكلات العيش، فتتجاوز كل ذلك، حتى إنّك عندما تنظر حولك فإنك لا ترى إلا حبات الطل الجذلى، وهي تراقص أشعة الشمس التي عشقت الصباح، على وقع همس شقشقة حسون هاله المنظر، فراح يشدو مغنيا بكل ما لديه من أنغام جميلة، وتعيش الحاضر بنكهة الماضي بكامل تفاصيله، وتتنسم التاريخ الفائت الجميل على وقع الجغرافيا الجديدة واستحقاقات الأيام ، فترى ما كنت تراه حينها كبيرا كبيرا، ليبدو لديك حينئذ متناهيا في الصغر ، فيكون أشبه بنقل حقبة زمنية موغلة في القدم بكل تفاصيلها، ومتابعة أحداثها ومشاهدها كأنها تقع للتو، فينصرف المرء ولسان حاله قول أبي نواس :

يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام !

لله دره من زمن، كم يعمل فينا من عمل، ثم نمر عليه مرور الكرام بحكم الإلف والعادة .وكأن شيئا لم يكن!

من حكم المُجرِّبين

دأب بعض الأشخاص – ممن نشاهدهم على مسرح الحياة - التشنج والتّشدّد، فهم لا يفتؤون بالثبات على هذا الخلق، ولا يقبلون منطقا غيره، حتى لو رأوا علامات نزع الروح بادية على الباطل الذي أزف نجمه فبات يحتضر، لأن أنفسهم هيّأت لهم أنّهم الحراس الوحيدون للفضيلة المدّعاة في هذا العالم، هؤلاء الناس وأمثالهم ممّن يحتكرون الحقيقة، ولا يتركون غيرهم كي يعرض رأيه، ليسوا إلا أمثالا ممسوخة للديكة، التي تظن أن الشمس لا تشرق حتى تستميحها عذرا في البزوغ، وإنه لا يعقد اتفاق بين اثنين حتى يستشاروا في ذلك الموضوع، فإلى أولئك الفريق من المتشنّجين والمتشدّدين زيادة عن اللزوم، وإلى أولئك الذين يظنون أنّهم كل شيء في الحياة، أسوق ما وعيته ممن خبر الحياة كثيرا قبلي ، فجرّب الأيام حتى افترسته بأنيابها وطحنته بأضراسها ، وعايش الظروف حتى وطئته بمناسمها: أن على رسلكم يا سادة ، فلا تكونوا كالعصيِّ بالدواليب..

على وقع الطبيعة

لا يكسر رتابة الحياة المعاصرة، التي جعلت إنسانها مثل الآلة أو (**الرّوبوت**)، ولا يريح النفس ويهدئ الخاطر - كلّما ران على الذات شيء - إلا امتطاء صهوة الصباح، وتيمّم شطر الطبيعة الخلابة الجميلة، ليبث المرء لها ما يجتاحه من أشواق، ويبوح لها بما لديه ممّا اغتالته رتابة الأيام، أو أحس بالاختناق من روتين الحياة، وتنسم السعادة الحقيقية الممزوجة بعبق (الفيجن)المتناثر هنا وهناك، والمخلوط برائحة الطل في الصباحات الباكرة، قبيل بزوغ الشمس في أيام الصيف اللاهبة، وعلى وقع أصوات الحسون الجبلي فرحا جذلانا، فعند هذا المشهد يحس المرء بالتغيير في ذاته، فتجد الروح تقف مشدوهة حائرة من جلال المشهد، فينطق لسان حالها مرددا التسبيح الذي يتجاوب مع تسبيح المظاهر التي يعج بها المكان ويتّسق حينها لسان الحال وهو يردّد :

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري

حتى أريك بديع صنع الباري !

حال وحال

منظر استوقفني كثيرا لشجرة يابسة كأنها جثّة هامدة، ففي منظرها من البؤس الكثير، فكأنها في صحراء بلقع، ومن الطّريف في الأمر أنها تحيط بها المياه من كل جانب، وتزاحمها الحشائش البسيطة منتفعة بها أيّما انتفاع، إذ ثمّة نبع من الماء الذي يتدفق بما أوتي من قوة على بعد أمتار معدودة منها، ومع ذلك فقد كانت حطبة يابسة ليس فيها أيّ حياة، ولا يبدو فيها أيّ حراك، فحالها أشبه ما يكون بحال البائس الفقير في المشهد العربي، وهو يرى خيراته تملأ الفضاء، فينتفع منها كل ما عداه، ولكنه يعيش الحرمان بكل تفاصيله !

تأملتها مليّا وهي بهذه الحال البائسة، فجال بخاطري حال كثير من البشر، ممن لديهم فرص كبيرة للانتفاع بما حولهم من أشياء، ولكنهم مع ذلك لا ينتفعون بها فيظلون بائسين، لأنهم لا يعيشون الحياة التي كما ينبغي، ولكنّهم يعيشون على هامش الحياة .

تأثرت كثيرا وأنا أعاين المشهد، ثمّ انصرفت ولسان حالي يردّد:

ومن العجائب والعجائب جمة... قرب الدواء وما إليه وصول .

كالعيس في البيداء يقتلها الظما.. والماء فوق ظهورها محمول

متلازمات بشرية

قلت لصاحبي: عميقة عميقة، هي النفس الإنسانية، عمق هذه الأودية السحيقة، فلا يمكن سبر أغوارها بالمقاييس البشريّة القاصرة، أولئك البشر الذين تتنازع ذواتهم الأهواء الأرضية، والتي لا تنفك مبتعدة عن المركز، فالحرص والطمع والأنانية والغيرة والأثرة والانتصار للذات، كلها قواسم مشتركة، ونوازع متضمنة في تكوين هذه النفس ومجبولة عليها، ولذا ما أكثر ما نجد أنماطا من السلوك الذي يعتري الكثيرين ممّن ابتلوا بمثل هذه الجوائح، فتنعكس سلبا على طبيعة التعاطي مع بعض الناس .

نظر إليّ صاحبي - وقد اعتراه الاندهاش- فقال: وكيف لمثل هؤلاء الناس الذين وصفتهم أن يكونوا بغير هذا المستوى المزري من التردي؟

فأجبته: عندما تسموا أرواحهم علوّا، حتى ترتقي وترتفع عن طين الأرض، ثم يخرجون من الحظوظ القريبة لذواتهم، فيتهمونها حتى لا تعود ترى لها من فضل على غيرها مهما قدمت من خير، فترى نفسها مثل الآخرين تماما .

صمت صاحبي، ولم ينبس ببنت شفة!

مظاهر ومخابر

الأحكام التي نطلقها في أحايين كثيرة على الأشياء، ما هي إلا فروع عن تصورها، وهذه قاعدة أصولية معمول بها عند الفقهاء وعلماء الأصول، فلا يحاد عنها البتة، وانطلاقا من هذه القاعدة، فإنه حريّ بالمرء ألّا يحكم على الأشياء والأفكار والأشخاص حكما سريعا، إلا بعد إمعان في النظر وتمحيص وتدقيق فيه، ذلك أن الحكم يترتّب عليه نواتج كثيرة، ففي البرق شحنات مؤذية، فلا يشك أحد في هذا قيد انملة، وفي الرعد زمجرة وقصف، ويمتزج ذلك بتلوّث ضوضائي، ولكن في نهايتهما ووراء كل منهما، خير عميم وغيث وحياة، ينتظرهما الناس بفارغ الصّبر، لأن في ذلك رزقهم وفلاحهم .

ولقد قالوا: "**المظهر ينم عن المخبر**" ما في ذلك شك، ولكن هذا الحكم ينسحب على الإيجاب، وليس حكرا على السلب !

مؤامرة

كثيرا ما يقع المرء ضحية زيف وتضليل فكري في جانب أو آخر من جوانب الحياة، حيث يُلعبُ بعقله، فيسوّقون له ما ليس موجودا على الأرض فعلا، ولعلّ تسويق عقلية المؤامرة لنا مذ كنّا صغارا واحدة من هذه القضايا، ففي كل حادثة كبرى تقع لنا، يقال لنا إننا مستهدفون من قبل الآخرين، وإن هناك دوائر تعمل ضدنا لزعزعة مسيرتنا المباركة، لأننا واحة غنّاء في محيط ملتهب، حتى نظل صامدين تحت مطرقة فسادهم وشلليَّاتهم، ثم أفهمنا في مرحلة تالية: إن عقلية المؤامرة ليست إلا كذبة كبرى سيقت لتسويغ ضعفنا وتشرذمنا، ولكنه تبين لنا أن المؤامرة الكبرى التي ذقنا منها الأمرّين كانت بتآمر من الداخل أكثر منه من الخارج، وبمباركة ومقايضة ممن نفوا تلك العقلية، فوجه الحقيقة كثيرا ما يشوبه التمويه والتضليل، ولكن عند تجلّيه نكتشف كم كنا بلهاء وساذجين عندما كان يمارس علينا ذلك الدور !

ما وراء المنظور..!

مشاهد البؤس المنتشرة في طول البلاد وعرضها، ممّا لا تخفى على الإنسان العادي البسيط، فضلا عن الناقد البصير، وآلام الناس وأوجاعهم المخفيّة عن الكبار والذوات، والتي تسترها جدران المنازل، لا تخفيها ناطحات السحاب والعمارات الشاهقة ذات الطوابق المتعددة، والشقق الفارهة، فأنّات النّفوس التي أرهقتها مصاعب الحياة ومتطلباتها ومتاعبها ليل نهار، لا تسترها ولا تغطّي عليها الموسيقا الصاخبة التي ينتشر ضجيجها داخل أروقة صالات الأفراح في مدننا وأحيائنا وقرانا، لأن الروح المعذّبة المتعبة لا يشغلها ذلك الفرح وهي تتجرّع البؤس أنخابًا، فهي تبحث عما يسد رمق الجوع لديها مهما كان بسيطا، ولذا فهي تتجاوز كل هذه المظاهر، فلا يعنيها بحال كل ما تعدى الحاجات والمتطلبات الأساسية التي تستلزم حياتها ...

تقوقع

أن يعيش المرء بعقلية الزمن الماضي وبأفكاره مع تغير كل المعطيات التي على الأرض، صورة نتعايش مع أشباه ونظائر لها في غير موقف من مواقف الحياة اليوميّة، ولعمري لهي ضرب من ضروب التّخلّف العقلي والفكري الموغلة في الرجعية ، وهي أشبه بالإصرار على استخدام الآلة البخارية في زمن الطائرة النفّاثة ، أو استخدام (**الخرطوش**) العادي البسيط للقتال في زمن الطائرات النّفّاثة والأسلحة الأتوماتيكيّة والذّكيّة، ومناداة من يبعد عنّا مئات الأمتار بالصوت العادي في زمن الأجهزة الإلكترونيّة والهواتف المتنقّلة الّذّكيّة، ولعلّ التعاطي مع مثل هكذا أفكار- على المستوى الإنساني - ينبئ عن ارتكاس في الشخصيّة، وقصر في التعامل مع معطيات الواقع الحياتي، وهو عجز عن التعامل معها بمنطق: "**لكل زمان دولة ورجال**" .

بؤس

كثيرة هي هيئات المعاناة وصورها التي نجدها ونحن نسير في طرقاتنا، فنرى فيها القسوة متجسّدة في صورة أو أخرى من الصور، ونحس بغير قليل من الألم والمرارة إزاء رؤيتها، وننده‍ش لمشاهدة مثل هذه الحالات بيننا .

فما أصعب أن ترى عجوزا: امرأة كانت أو رجلا، يبحث عن بقايا أشياء لسد رمقه اليومي في حاوية في حي من أحياء مدننا، باحثا عن أشياء يجمعها كي يبيعها ليسد من خلالها رمقه أو رمق أسرته !

وقد تجد من يرأب بعض متاعه بصورة بدائية، وكأن المدنية لم تغز عالمه الذي يعيشه، وذلك على وقع تبجّح القرن الحادي والعشرين، فتأسى لذلك المشهد .

مشاهد فيها من القسوة ما فيها، تجدها عرَضا عندما تسير في طرقات مدننا راكبا أو راجلا، مبتعدين عن ساعات الذروة من النهار، ومستغلين ساعات الصباح الباكر، حيث تقل العيون ويندر النظّار فيها، وقد يتجاوزون- في بعض الحالات - هذه الساعات، ليخرجوا تحت الشمس وفي وضح النهار متحدّين الضمير الإنساني الذي أرهقته معطيات المدنية، فبقي بعيدا عن لمسات الحضارة !

محن ومنح

الحياة شأنها عجيب، يتجاور فيها الشيء وضدّه ؛ فالخير يجاوره الشر دون أن يكونه، والمنحة قريبة من المحنة مع تناقضها معها إلى أبعد حد، والباطل يعيش مع الحق جنبا إلى جنب، فلا يتفق معه البتة، وكل منها على هذه الشاكلة: معنى ومبنى مع شيء من التصحيف بين المفردتين المذكورتين، وكأنهما يوحيان أن المنحة مخبوءة بين ثنايا تلك المحنة، ولعلها تحكي لسان حال أبي العلاء المعري في داليته المشهورة، والتي عكس فيها فلسفته في نظرته إلى الأشياء حوله، وأعطى في ذلك حكما طبّقه على ذاته، ولم يُلزم به أحدا فقال :

غير مجد في ملّتي واعتقادي ..... نوح باك ولا ترنّم شادي

وشبيهٌ صوت النعيّ إذا ما ..... قيس بصوت البشير في كل ناد

إن المرء ليرى في جانب من جوانب حياته الأمر من المحن والبلايا، وقد يكون ذلك الأمر منحة وعطيّة حباه الله بهما، أو اختبارا وابتلاء يترتّب عليهما الكثير من العطايا والخيرات، وكل ذلك يكون دون أن ندري، مع أنهما متجاورتان ومشتركتان في كل حروف المادة اللغوية ... معادلة يغفل المرء عنها كثيرا في مسيرة الحياة .

أدبيات الرد

بعض الناس يكون ردّه طيبا ومرضيا عندما يقصد من قبل طالب حاجة ما، مع أنه قد لا يحقق الشيء الذي أمّله منه، لأنه يتقن فن التواصل مع الآخرين، وتربّى عليه اجتماعيا، فأتقن فنّ المنطق في التعامل مع الآخرين، بحيث يرضِي مقابله حتى لو لم يتمكّن من تلبية حاجته، ولكن بعض الناس قد يلبي طلب من قصده، ولكنه لا يرضِيه البتة، ولكن الأدهى ألا يعطِي ولا يرضِي في الوقت ذاته، فيستهجن المرء مثل هذه الفئة من الناس، ونحن نستخدم في موروثنا الثقافي:(**يا ضيف: أما كنت معزّبا؟**)

عندما يواجه المرء بنماذج من هذا القبيل، فإن المغادرة صارت ضروريّة، ولسان الحال حينئذ :

لا خيل عندك تهديها ولا مال ..... فليسعد النطق إن لم يسعف الحال !

حوار الطرشان

كثيرا ما نسمع عن أحاديث الطرشان، حيث غالبا ما يقوم المرء في الحوار بالبحث عن الحقيقة حيثما كانت تلك الحقيقة، لأنه يبحث عنها ليعتمدها، فالحكمة ضالة المرء أنّى وجدها، فإنه ينبغي المسارعة إليها، لأنه أحق الناس بها، أما المواربة في الحوار والمماحكة في المنطق، والبحث عن مسوّغات غير منطقية لوجهة النظر، والتماسِ مشاجبَ - أيّا كانت هذه المشاجبُ - لتعليق خطئه عليها، فلعمري إنّها نرجسيّة عالية المستوى في بعض الذوات، هروبا من الاعتراف بالخطأ في إدارة الأزمة (**أية أزمة**)، وهذا هو التطبيق العملي لحوار الطرشان، ولقد بقيت أتأمّل هذه الصفة المغروسة في تلك الذوات متعجّبا، ولكن عجبي زال عندما قرأت قولا لأحد الحكماء مفاده:" **ثلاثة لا تجادلهم: المتحيّز، والمتعصّب، والمتحامل، لأن التحيّز طريقٌ مسدود، والتعصّب طريق مغلق، والتحاملُ فطريق مكسورٌ**"، حيث اقتنعت أن كل محاوري الدنيا، حتى سقراط لو عاد إلى الدنيا، فلا يمكن أن يقنع شخصا اتّخذ موقفه ابتداء، وعند ذلك أنهي ذلك بابتسامة وأخرج من الحوار!

على وقع نسائم الربيع

مشهدُ الربيع يملأ النفس ارتياحا وبهجة، والنظرةُ العميقة لما وراء الأشياء المنظورة، تكشفُ عمّا وراء هذا المشاهد من أشياء جميلة... حاولت استلهام ما في الطبيعة من جمال يأخذ المرء بعيدا، لحال المكان قبل هذا الوقت بأزمان ، لقد رأيت الجانب الآخر من الموضوع عندما تأملته ببصيرتي، فالمشهد ينبي عن حياة كانت تغص فيها جنبات المكان في يوم ما، ولكنها غادرته إلى غير رجعة، وهو يذكر بالطلل الذي درس واندثر، فلم يعد له على أرض الواقع أي وجود، إلا معالم باهتة صامتة، ثم سرعان ما تتلاشى عبر عدمية المشهد وأزقّة الخيال .

المشهد الذي عشته، والذي كان ميّتا وسط خميلة وارفة من الحياة الربيعية، جعل لدي كثيرا من التداعيات والمقاربات، فالمشهد أشبه ببقايا العلاقات الإنسانية التي درست وزالت آثارها، فلم يبق منها غيرُ معالم منثورة هنا وهناك في أراشيف الماضي وزوايا الذكريات ، مثل الروح التي تنزف داخليا، في مكان يعجّ بالفرح والسرور، فانطبق حال المَعلم الدارس بزاويتين وضلع ووتر كما يقال في المنطق الرياضي، وحال الذكريات التي أصبحت أثرا بعد عين!

إفراط وتفريط

هي الحياة؛ أشبه بغابة كبيرة مملوءة بالوحوش الضارية، فمن لم ينظر إليها بهذا المنظار فهو لا شك أنّه مغفّل حدّ السّذاجة، فليس ذنب هذه الضواري أن تفترس العجل الذي غامر بينها، فكان لقمة سائغة لها، لأن شأنها الافتراس مذ خلقت حسب الغريزة التي فطرت عليها، ولكن الذنب أن يدخل في منطقة النفوذ التي تقع تحت سيطرتها ، ثم يسلم نفسه لها، منفردا عن قطيعه الذي يجد بينه الأمن والحماية حين تعزّ الحماية، ولا يفرّط بلحظة لو أراد لحياته الاستمرار، ولعل العبث بهذه المعطيات والتغافل عنها بحجّة الأقدار لهو خطأ كبير، فالأقدار لم تخبر أحدا بما لديها، وتركت للمرء الفرار من قدر إلى قدر آخر داخل دائرة القضاء، كما قال أبو عبيدة بن الجرّاح عندما قيل له أتفرُّ من قدر الله يا أبا عبيدة ؟

فكان جوابه: أفرّ من قدر الله إلى قدر الله !

ولعل التفريط في ذلك قد يوقعه في مثل هذه الورطة التي تأتي على حياته ، وتستمر الحياة !

الاختزال السلبي

عندما تختصر العلاقة - أي علاقة - بين اثنين أو أكثر بموقف معيّن ثم تنهار، فيكون في الوضع ثمّةَ خلل، وعندما تختصر الحياة بهدف وضيع وبسيط، فلا شك أنّ هناك خللا كبيرا، وفي الوقت الذي يختزل فيه الزواج بقضاء نزوة، فيكون في الوضع ارتكاس إلى درجة متدنية من البهيميّة، حتى لو تم تغلّيفُه بكل مقاييس القداسة الدينية أو الاجتماعية، وعندما يظن أن المصير ينتهي بخروج الروح من البدن، فإن الوضع بالتأكيد فيه كثير من الغلط وسوء التقدير .

إن العلاقات بين البشر ليست محصورة في موقف معين من مواقف الحياة، لتنقلب الدنيا بمقدار 180 درجة عنما يقع الخلاف، كما إنّ الهدف من الحياة أسمى من أن تنحصر في مأرب قريب، بل إن لها غاية كبيرة ونبيلة تتجاوز معطيات الدنيا، لتتصل بالعالم العلوي، كما إنّ الزواج ليس محصورا في قضاء نزوة لتنتهي في فترة محدودة، بل مؤسسة متكاملة ينبغي أن تكون مبنيّة على أسس متينة، وإلا انهار في أول محطّة من محطات الحياة، أو استمر بيع الجسد ما شاء له أن يستمر، وفي ذلك من الانحدار ما فيه، وانتهاء الحياة ليست نهاية المطاف، لأن ما بعد الحياة من مترتبات هو الأهم ... هكذا علّمتني الحياة !

مفارقة

أن تؤذى من قبل من مددت يدك إليه لتنقذه، ويُطال - بسبب ذلك- جانب مهم من شخصيتك بأذى، فهي واحدة مما عهدناه في سيرتنا الحياتية ، فقد يجد المرء في سيرته الحياتيّة الكثير الكثير من مثل هذه المواقف، والتي تم تجاوزها نهائيا، ولم يبق منها غير شذرات هنا وفتات هناك، ولكن المفارقة أن تجد بالمقابل من يقف معك، ويقيل عثرتك بكل ما أوتي من قوّة: يتحسس مواطن ألمك، فيضمّد جرحك، أو يسعى إلى إسعادك في كل محطّة من المحطّات التي يرافقك فيها، فعند ذلك تطيل النظر فيمن شتت في سبيل ذلك ذاته واستصغرها، فتنظر اليه نظرة احترام وتقدير ولسان الحال:

إن أخا الهيجاءَ من كان معك

ومن يضرُ نفسَه لينفعك

ومن إذا ريبُ الزمان صدعَك

شتّتَ فيك شملَه ليجمعك !

سذاجة

رسائل كثيرة ومتنوعة صارت تغزونا عبر وسائل التواصل الاجتماعي بين الفينة والفينة، فبعضها يضع الأمانة في رقبتي الى يوم الدين أن أرددها أو أنشرها لعدد معين، ورقم معين في ذهن مرسلها الأول، ويخبرك أن قد أعذر من أنذر، ومحذرا بالويل والثبور وعواقب الأمور لو تقاعست عن نشرها، أمّا البعض الآخر منها، فإنه يمنيك بفاكهة الشام والسمن والعسل، ولكن ما ليس غريبا أن يكون المرسلون من فئة الناس الساذجين والبسطاء، إلا أنّني اندهشت كثيرا عندما دققت في بعض مرسليها، فقد لاحظت أن بعضهم على درجة عالية من الثقافة، وقد يحتلون مراتب اجتماعية مهمّة، حيث أنظر مليا إلى الرسالة متذكرا صديقي المرسل الذي يُعدُّ من الشاكلة الراقية، وما هم عليه من (برستيج) ، فأقول أن يا قوم: كفى سخفا، ثم أنثني ولسان الحال:

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة ..

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم !

مشهد بحري

مشهدُ طيور النوارس البحريّة وهو تباري السفينة التي شقت عُباب البحر طريقا، من المشاهد التي وقفت إزاءها طويلا ملاحظا لها ومتأملا ما وراء المشهد، فحركته الدائبة حول السّفينة وفوق رؤوس الرّكاب فيها مصفقا بجناحيه: جيئة وذهابا دون كلل أو ملل، صورة يلاحظها كل من ألف ركوب البحر لسبب أو لآخر ولو مرة واحدة، وهي تدل على الألفة بين بعض الطيور والبشر، لأنهم يرمون لها بعض فتات الغذاء التي تكون بأمسّ الحاجة إليها، كما إن هذه الألفة ولّدت صداقة بين النوعين من المخلوقات: النوارس والإنسان، بحيث قرّبت المسافات بينهما، على خلاف ما بين النوعين من المخلوقات، فما بال بني البشر، لا تقوم بينهم مثل هذه الألفة؟ وما بال لسان الحال بينهم :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوّت إنسان ، فكدت أطير !

منطق

هكذا هي طبائع الأشياء، فمن يتصدّر للخوض في قضية ما ليحكم فيها، فينبغي أن يعي كل دقائقها وتفاصيلها، حتى يكون الحكم عليها كما ينبغي، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوّره كما يقول أهل المنطق والأصول، فلا يلام المنفق في إنفاقه لأنه لا يدرك متعة ما يقوم به إلا من وعى لذّة الإنفاق، وتصوّر راحة النفس به، كما لا يدرك اللذّة التي يكون عليها المصلح، إلا إنسان ذاق لذّة الإصلاح بين الناس وثمارها الطيبة، وقد تستكثر الجهود التي يبذلها امرؤ في تحقيق حاجة لآخر، لأنه لم يستطع تصوّر الأريحيّة التي يكون عليها من استطاع تحقيق غاية، لمن عجز أكثر الناس بلاغة ولسانا من تحقيقها، وكذلك لا يدرك ما أنت عليه إلا من خاض التجربة التي يلومك على تصدّرك لها، فلهذا وذاك وغيرها الكثير قالوا:

لا يدرك الشوقَ إلا من يكابدُهُ ولا الصبابةُ إلا من يعانيها !

تأمل

في الحياة نهفات ينبغي أن تستغل، ومحطّات لا بد من وقوف الذات عندها في لحظة تأمل عميقة؛ وتستوي في ذلك محطات الفرح والسعادة، ومواقف الشّدة والألم والابتلاء سواء بسواء، لأن السعادة والألم نوتتان تتغيران حسب جغرافيا الحياة الإنسانية ونتوءات العمر، ففي الفرح يتم الإحساس بتلك الجرعة من الأريحية التي تشعر فيها بمنّة، وليس للمرء فيها من فضل سوى جريانها في حياته ماء نميرا، كما إن الابتلاءَ والألمَ ليسا غير هزتين عنيفتين ينبغي أن توقفا المرء عن جموح ذاته في سبل التجبّر والتعنّت، ليشعراه بضعفه وقلة حيلته، ووقوفه صغيرا أمام ذاته التي براها الألم وأضنتها الحاجة، مثل المركب الصدئ الذي انتهى عمره الافتراضي، فصار ملقى على الشاطئ، لا يستفاد منه سوى الاستظلال تحته، بعد أن كان يمخر عباب البحر بكل عنفوان وشدة .

أحكام

من مسلمات الأشياء وطبائعها أن يكون اللّومُ للمرء بعد أن يتبينَ الحقَ ويتحرّاه ويُفتّضحَ دليلُه، ولكن أن يصدر حكما ثم ينتظر الغيب كي يقدّم له دليلا وتعليلا يثبت فيه صدق ظنّه أو عدمه، فهذا ما لم يرو عن مجتمعات الجنّ فضلا عن مجتمعات الإنس، كما لم نشهدها في الملّة الآخرة، إلا بيننا بني يعرب أبناء عدنان وقحطان .

عندما أحس بمثل هذه الحالة، ينتابني شعور مثل حالة الغثيان مما أراه عند بعض الناس، ثم أنثني فأضربُ صفحا عما أراه وأشاهدُه، فيكونُ لسان حالي حينها:

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتَني ..... أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عذرتُكا

لكنْ جهلتَ مقالتي فعَذَلْتَني..... وعلِمْتُ أنكَ جاهلٌ فعَذَرْتُكا

موقفان متناظران

هي الحياة، يُمعَن في رسم معالمها الخارجية تزويقا وتنميقا، فيُستَهلُك في سبيل ذلك الكثيرُ من الجُهد والتعب والمعاناة، ويُستنزَف المرء فيه أجملُ سني العمر، حتى إذا ما تم الاقتراب من جني ثمار ذلك الجهد المبذول، ولثم عطر ذلك الزهر، أُفسد فيما بعد بتصرّف أرعن أهوج، يشوه كل معالم المشهد الذي أنجز، فضاعت سدى كل الجهود المبذولة، وكذا اللوحة التي اكتملت فنيّا وجماليا من النواحي جميعها، فصارت بهجة للناظرين، ثم سُكب عليها ما تبقى من الألوان التي جمّلتها، فانقلب الجمالُ سوءا، وانثنت البهجة رداءة وقبحا !

إرادة

كثيرٌ من المواقف التي تمرّ علينا في مسيرة الحياة، لا تستحق الاهتمام أو الوقوف إزاءها طويلا، حتى لو تهيأ لنا- بادئ ذي بدء - غير ذلك، فخيّل إلينا أنّه يستحيل أن نتعايش دونها، لأن الحياة ستستقيم وستستمر بهذه وبدونها، فالنفسُ الإنسانيّة طيّعة وقابلة للتربية حتى لو شمصت وتظاهرت بالتأقلم على الوضع الجديد، حتى لو واجهت ابتداء بعض المصاعب، التي تتناسب طرديّا مع شدة التعلق بالوضع الأول، إذ ليس ثمّت ما هو خارج السيطرة عند توفّر الإرادة، ألم ترَ إلى حليب الأمهات الذي يفطم عنه الأبناء في مرحلة من المراحل العمرية حين يقتضي ذلك، فيُستسهلُ تركه والاستغناء عنه، أقول هذا ولسان الحال :

والنّفسُ راغبة إذا رغّبتها وإذا تردُّ إلى قليل تقنعُ !

خواطر ما بعد المنتصف

رب بناء تَعب في تصميمه مهندسُه وبانيه، فقضى في ذلك الأيام والليالي، حتى استطاع رفعه شامخا على قواعد قويّة متينة، فكان يتأمل روعة بنائه وهو يرفعه لبنة لبنة، وأبدع في زركشته وتزيينه، حتى صار تحفة للناظرين، فلما أن انهار عن أصوله، آلمه ذلك الانهيار حتى أوجعه، وربَّ مهرٍ جميلٍ تعبَ سائسُه في ترويضه بعد أن كان عصيّا على الترويض، ولم يزل كذلك حتى سلست قيادته، وزال (شموصه) بالتدريب والاستئناس، حتى صار طوعَ يده ورهن إشارته، فلم يلبث أن اعتلى صهوته نذل، وربَّ بستانٍ طيّبٍ يحتوي من الأعناب أطيبَها، وقد تعب صاحبه في حراثته وتسهيل أرضه، فأزال ما به من أعشابٍ وحشائشَ، ولم يزل الوضع كذلك حتى نما وزكى، وقد حلَت عناقيدُهُ ، فآلمهُ أن سطا عليه واوٍ لا يستحقُّ شيئا من ثماره، واستحل عنبه ثعلبٌ ..... نماذجُ نشاهدها بين الحين والحين على مسرح الحياة !

أمرك

تلك الكلمة ذات الأحرف القليلة (أ م ر ك)، والتي لا تكاد تلفظ حتى يتبادر للمرء كثيرٌ من التداعيات المرتبطة بها: طوعُ إرادتك، أنتَ الذي تشير فيلبّى طلبُك، لا أبتُّ بأمر دونك، قراري مرهون معك، مصيري موهون بمصيرك..

فما أن تفرّغَ هذه الكلمة من مضمونها الذي وضعت له، حتى تمسي تلك الحروف ليست ذات قيمة، فتكون كئيبة إلى الحدّ الذي لا تعبّر إلا عن إمعان في رهن الذات، لتظل تنتظر المجهول في مرتفع وعر، ولا يَدري متى ستكون نهايتُه في السقوط من العلوّ الشاهق الذي وضعَ نفسه فيه، ثم تكون العودة في النهاية بخفي حنين، ولكن بكل خيبة وخذلان ... حالُ كثير من العلاقات التي تجري بين بني البشر .

فضيلة

هي الفضيلة، مثلُ الشمس إشراقا، والأطفالِ براءةً وحنانا ، والبدرِ في كبد السماء تلألؤا، وهي لا يحجبها عن الرؤية إلا بعضُ السحبِ التي سرعان ما تنقشع، لتسفر عن وجهها الوضّاء، وهي ثابتة ثبوت الرواسي الشماء، أمّا إنكارُها فهو لا يعني اضمحلالَ وجودها، ولكنّه قِصرٌ في نظر منكِرها .....

لم يقبل صاحبي منطقَ الفضيلة، وعدَّه من أسوأ وجوهِ المنطق على الإطلاق، وراح محاولا الإقناع أن الشمسَ تبزغُ أولَ ما تبزغُ من المغرب، لتختفيَ آخرَ النّهار في المشرق، واكتفى بقناعاته الذاتية التي لا تقنع طفلا صغيرا، فضلا عن أنّها لا تلغي حقيقة موجودة على الرغم من كل الأنوف، ولا يمكن لهذا المنطق أن يثبتَ باطلا ..... ماتَ صاحبي فانطوى ذكره، وبقيت الفضيلة حقيقة شاهدة ماثلة للعيان ولسان حالها:

قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رمدٍ وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سقمِ !

همسة في أذن المساء

عندما يتعكر الماء فلا بد من الانتظار فترة من الزمن، وعدم تحريكه أبدا حتى يهدأ، وتحمّل معاناة الحاجة إلى استخدامه، حتى يتمّ ركوده والعودة إلى صفائه والاستفادة منه لئلا تزيد الكدرة فيه، وكذا البحر عند هيجان أمواجه، فلا يركبَ إلا عندما يهدأ، أما في منطق العلاقات بين البشر حين تعرضها إلى التصدّع، فإن الأمر يكون أبلغ، فليس من الممكن أن ترى الأمور على طبيعتها الحقيقية، لذا يصعب حينها التمكّن من رأب الصدع بين تلك النفوس أثناء تأزّم سَورة الغضب، لأن طبيعة البشر غالبا ما لا تقبل منطق التطامُن للآخر، إلا عندما يشهد فترة من الهدوء النسبي، الذي يصفّي النفوس قليلا، وإيقاف كل ما من شأنه شحن الوضع بمزيد من المؤزّمات، ليصير من الممكن تنقية تلك الأجواء !

قلووووووب !

ليس ثمّة من هو أكثر جهلا من امرئ يحاول التضييق على القلوب لثنيها عما آمنت به من مشاعر وأفكار؛ تلك المشاعر والأفكار التي امتزجت بالدم الذي بين حجراتها وبُطيْناتها، ومغفّل في غاية الغفلة من لم يؤت من المشاعر والأحاسيس ما يجعله يعرف (الديناميكا) التي تعمل بمضمونها تلك الكتل من اللحم والدم، ولكنّها تحتوي طاقة جبارة، وليس لها أي حدود، فلديها من القدرة ما إنها تقوى على الإفلات من أيّ قبضة مهما أمعنت في جبروتها وصلفها، ومهما كانت حديدية..!

أقول هذا على اتساع ما يمكن وقوعه، ولعلّي أستذكر في هذا السياق قول أحد شعراء الدعوة الإسلامية في منتصف القرن الميلادي الماضي على لسان من يخاطب جلاده: ضع في يدي القيد ، ألهب أضلعي بالنار ... ضع عنقي على السكين ... لن تستطيع حصار فكري ساعة ، أو نزع إيماني ونور يقيني ... فالنور في قلبي ، وقلبي في يدي ربي ، وربي حافظي ومعيني !

لما تفكرّت في الطاقة التي تحتويها القلوب التي آمنت بفكرتها، فرافقتها طول حياتها ، وظلت حبيسة تلك الحجرات حتى موتها عنده أيقنت سبب وضع الفلاسفة وعلماء الأصول قيمة التضحية شيئا ساميا، تهون في سبيلها المعاناة، وعرفت أن لله في خلقه شؤونا !

موروثات ثقافية..!

عند استقراء بعض المقولات التراثية، نلاحظ انطباقها على كثير من الحالات والمواقف والأشخاص في حياتنا، ففي كثير من الحالات لا يكون المظهر للمرء دالا على مخبره، كما ترى بعض جوانب الموروث، وقد تكون الأشكال مجرّد هياكل، حيث يقع المرء في الغبن عند الحكم المتسرّع قبل أن يتعامل مع مثل هذه الحالات، وعندها يتذكر المرء صدق وصف الموروث لها حيث :

(ليس كل ما يلمع ذهبا..!)

و(يا شايف الزول يا خايب الرّجا)

وغير ذلك من المقولات ..... عند ذلك نلتمس لعلي بن أبي طالب الذي كان يصر على الشخص المزهوّ بمظهره ، أن يتكلّم حتى يعرفه .

عناد

الفيزيائي والرياضي الإيطالي (**جاليلو جاليلي**) أثبت أن الشمس هي مركز الكون في القرن السادس عشر الميلادي، خلافا لما كان شائعا من كون كوكب الأرض هي مركزه، ومخالفا بذلك رأي (**كوبر نيكوس**)، الذي تبنّته الكنيسة آنذاك، والذي يزعم أن الأرض هي مركز المجموعة الشمسية، ولذلك فقد حوكم بالسجن واتُّهم بالهرطقة والكفر، ثم عاش باقي حياته بائسا حزينا، وليكتشفوا صدق مقولته بعد أن تجلّت لهم الحقائق فيما بعد، فأعيد الاعتبار له بعد ثلاثة قرون من وفاته!

ترى هل لا زالت القداسات الكنسيّة والكهنوتية والاجتماعية المزعومة، والتي تعد من مخلّفات تلك القرون البالية، هل ما زالت تقوم بأدوارها المنوطة بها بصورة أكثر بشاعة من ذي قبل، متسلّحة بتلك الهالة الاجتماعية والدينيّة، التي لا تفتأ تطل برأسها حينا بعد حين، لتمعن في ممارسة طقوس القهر على أبناء زمن العولمة الذي يمكن التحكّم بالعالم فيه من خلال علبة إلكترونية ؟

تاريخ

أكبر المغفلين من يتوهمون قتل الماضي، على أنه السبيل الوحيد لنسيانه، لأن الماضي لا يموت أصلا؛ ومن ثم يستحيل دفنه، لأنه يعيش فينا وبنا ومعنا؛ فهو المعادل للمستقبل، مادام الحاضر طيف خيال "

يا له من منطق صحيح !الماضي هو القاعدة التي يقيم عليها الحاضر بناءه ليربطه بمستقبله، ولن تقوم للمستقبل قائمة على حاضر واه ضعيف متهاو، مهما هُيِّئَ له من مسوّغات ، لأن الذي الغى تاريخه الراسخ الثابت بالمنطق والعقل والوجدان، بعد أن ألغى تفكيره وإرادته مجانا مخطئ تماما، لأنه بقي مثل العصفور البائس الحزين القابع تحت وطأة الذنب ولوم الضمير، بعد أن استنفد كل ما لديه من رصيد، ليعترف بواقع مزيف مدّعى، وإنه سيعرف متأخرا أنه كان يحرث في الماء، وإن محاصيله لن تنمو بذورُها أبدا، لأنها ستتعفن بعد أن تمتزج مع وحل الحاضر الآسن الذي لم يشهد الشمس أبدا !!

إياب

في مشوار الإياب يكون الحملُ ثقيلا، وتكون الراحلة متعبة، والشمس آفلة للمغيب، والخطوات متأرجحةُ ..... كل شيء في مشوار الإياب يمسي ثقيلا: اللحظات الحاضرة، وإضاءات الماضي وآماله، والذكريات الكثيرة المرصوفة في الأرشيف على طريق العودة، كلها تكون باهتة، في الوقت الذي تلملم فيه الذات أشياءها، وتلتقط أنفاسها المنهكة، وهي تجأر بصوت لا يسمعه فقراء المشاعر والأحاسيس، في أعقاب مشوارها المضني، وتئن من أثر منطق الواقع وفرضه، لتكون بذلك أشبه ما تكون بوقع فجيعة الحياة

تتأمل الذات معالم المشهد عبر المحطات المتناثرة على طول الطريق، ثم تطرق مستسلمة لمنطق الأقدار بعد أن قالت قولتها !

طيّ صفحة

قال لي صاحبي : ليس ثمّة ما هو أجمل من أن تصل إلى الحقيقة بعد طول انتظار، وليس ثمّة ما هو أصعب من مواجهة تلك المعاناة التي استنزفت جزءا كبيرا من الذات، تلك الذات التي أشبه ما تكون بحالة العربي في صحرائه، وهو يسافر قاطعا شعاب الحياة، بين جبالها ووهادها وكثبانها وفيافيها، باحثا عن ذاته المأزومة، تلك الذات التي بقيت تدور حول نفسها ردحا طويلا من الزمن، إلا بمقدار ذلك الأسى الذي سببته تلك الحالة من تشنّج وشدّ، بسبب أمل ضاقت به الدنيا فلم يجد متنفّسا كي يتجسّد واقعا على الأرض كما الدنيا جميعها، ثم نأت عن الواقع المرير لتستقر تاركة شد أعصابها، ومسترسلة عبر بساطة الحياة الطبيعية التي غادرتها منذ فترة طويلة، ولسان الحال: وجه باسم مقبل على الحياة خير ألف مرة من وجه مكفهر عابس، وروح مرحة خير من ملء الأرض نفوسا مقطّبة، ولِتَّطوَ تلك الصفحة، ولسان الحال قول الإمام الشافعي:

(ففي الناس أبدال، وفي الترك راحة .. وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا..!)

نوارس

هي النوارس، وحدها دون غيرها من البحريات التي تعرف قيمة الشواطئ والسواحل بالنسبة لها، إذ إن هذه الشواطئ ربيعُها ومهدها الذي ترتاحُ فيه، فلا تجد لذاتِها السعادةَ في سواها من الأماكن، لذلك فإنها تبدو كئيبة وحزينة كلما ابتعدت عن سواحلها التي طالما لثمت أسطح مياهها، وهي تذرع المسافات جيئة وذهابا، وحلّقت فوق أديم سمائها، فتظل تنشد أن تؤوب إليها كلّما أُقصيت عنها، مسرّحةً نظرها عبر المجهول، لعل طائر الفنيق يعود أدراجه منتفضا بعد احتراقه، كي يعيش الخلود المطلوب !!!!!

حنيـــــــــن

الحنين قيمة إنسانية سامية، وهو لا يكون إلا في قلب رقيق شفاف، ولا تكون الرقة إلا من متلازمات الشفافية ورهافة الإحساس، ولا يكون كل هذا وذاك إلا من مقتضيات النفس الإنسانية الرضيّة والمفعمة بالصدق ...الحنين نافذة موصدة بإحكام، ولكن النفس الإنسانية تصر على فتحها، الحنين في سياق الذكريات التي ولّت، وأصبحت في أراشيف الماضي قاتل، سواء أكانت تلك الذكريات حزينة أو سعيدة، ذلك لأنها عملية إنعاش لبدن تم التيقّن من موته، ولمّا تكون نتيجة لوقع أثر الحاضر الذي يخنق الأنفاس، فإنّ العمليّة تمسي معقّدة ومركّبةَ الأسى ...

الحنين ماثل في كل موطن من المواطن في الحياة ، ففي ابتسامة الطفل وهو يحاول الاقتراب من ثدي أمه حنين، وفي تشبّثه بها محاولا عدم الإفلات منها حنين، وفي الشجرة الملقاة على الأرض بعد أن اقتلعتها الريح من جذورها حنين الأرض إليها، وفي أنين المريض وتأوهه إلى الصحة التي أقصيت عنه مؤقتا أو بشكل مستمر حنين، وفي الكبرياء المجروحة إلى ما أهدر منها تحت أقدام النذالة من كرامة حنين، وفي تهاوي الأحلام بعد خنقها واغتيالها، وما ينجم عن

ذلك من أثار مبرّحة حنين، وفي تهاوي الشمس للمغيب، واصفرار لونها كل يوم حنين إلى النهار الذي ولّى أدراجه تاركا في النفس غصّة.

الحنين ماثل في كل صورة من صور الحياة ؛ دقيقها وكبيرها، جليلها وحقيرها، وفي كل ذلك نستهلك جزءا غاليا من ذواتنا المعروضة على قارعة الحياة .

هندسة الحب

قيل إن سرّ خلود الحب بين قيس بن الملوّح وليلى العامريّة ، أنّ كلا منهما سار بخط مستقيم، والخطوط المستقيمة لا تتقاطع، فقد تزوجت ليلى من غير حبيبها قيس، أما صاحبها قيس فقد هام على وجهه في الصحراء طول حياته، لأنه كان قد عمل **(Format)** – بلغة العصر -لنظامه ، وبرمجَ حياته على أساس أنها جزء منها، وأنّ خلاف ذلك غير ممكن أبدا، ولذا اصبح حبهما بهذه الدرجة من الخلود، ولكنّ لو شاءت الأقدار أن يكون خلاف ذلك، لكان الأولى أن يحدث انحناء مطّرد حتى يتكون محيطا لدائرة كاملة لكل منهما بعد تقاطعهما مع بعضيهما من الداخل، فيتغيّر الشكل من التوازي الذي لا يتم فيه لقاء، إلى الشكل الدائري ، ويوصل القطبان معا ليعملا دائرتين متقاطعتين .....

لا تتسرع .....ولا تتسرعي أن أردتما لحبكا الخلود !!!!!!!

أحاديّة النظرة

كثير من الناس أحاديو النظرة والتفكير، ولذلك فهم ينظرون إلى الأمور نظرة جزئية قاصرة، فينجم عن ذلك معالجات قاصرة وناقصة للقضايا، ولذلك تكون نتائج أحكامهم على القضايا كارثية، ويبدو أن هذا الأثر يكون كبيرا كلما كانت القضية حساسة أو أساسية، وعلى تماس مع القضايا المصيرية التي ينبغي أن يكون الوقوف عندها مطوّلا قبل البت فيها، أو عندما تكون من القضايا التي على تماس مباشر مع المشاعر والأحاسيس، لأنه عندما يكون القاضي فاقدا للإحساس، فإن حكمه سيتمخض عنه آثار قد تستمر عمرا بحاله !

التروي وتفحّص كامل جوانب المشهد دليلٌ على الحكمة وبعدِ النظر، وتأمل معطيات ذلك المشهد دليل على نضج التجربة لدى القارئ لذلك المشهد، ولكنّ الحكم المبدئي في هذه القضايا الحساسة، دون التعاطي مع كامل عناصر المشهد دليل على الرعونة والتخبّط، الذي لا تحمد له عقبى، ولا يشكر له مسعى.

في المشهد الكثير من المعطيات، والمتأمل فيه يكتشف الكثير منها، والتي لم يقف عندها ذلك المتعجّل الأرعن، بسبب أحكامه المسبقة والمبنيّة على قصر النظر، والوقوف المطوّل دون تأمل جوانب المشهد، وتجاهل تلك المعطيات والحيثيات دليل على صدق تلك المقولة: " صمت دهرا، ثم نطق كفرا "

أحاديث الجدّات

قلت لجدتي: حدثتيني عن اللؤم، فقد ذكرت لي اللئيم ذات مرة في معرض حديثك عن الحاقد والحاسد والبخيل، فما أحدث ما لديك من وصايا حول اللؤم واللؤماء؟.

فقالت: يا بني، اللئيم شجرة عارية دون أوراق، ولكنها تتجمل على المستظلين تحتها بوارف ظلالها، ثم استطردت تقول: "والله ثم والله مرتين، لحفر بئر بإبرتين، وكنس أرض الحجاز بريشتين، وغسل عبدين أسودين، حتى يصيرا أبيضين، أهون عليّ من الوقوف على باب لئيم أسأله حاجتي !!!!!"

قلت : قطني قطني يا جدتي .

تخلّف

كل يستهويه منظر السماء، فيرفع يديه ونظره إليها: بعضهم يرفعهما إعجابا بعلوها وتنسيقها وسمتها وزينة لونها وبهائه، وبعضهم يرفع يديه إليها دعاء ورغبة بفضل من عرشه في عليائها، وبعضهم يرفع يديه إليها دعوة على كل ظالم جبّار متغطرس، أيّا كان ذلك الظلم الذي مورس عليه، ظنّا منه أنّ فيها من يحيط علمه وبصره بكل ما يقع في هذا الكون من ظلم وتجبّر وافتئات على الحق، فكلّ له مأرب في تقليب نظره فيها، فهل يعي أولئك الظلمة، الذين يمارسون الظلم حتّى في تصوّراتهم ونظرتهم إلى الناس بمقاييس غريبة، فيصنّفون الناس والجيران والبشر والأصحاب والمعارف: قيسا ويمنا، حسب ألوانهم وهويّاتهم وأصولهم ومنابتهم، ومنطق منظورهم المتخلّف، إنّ كل هذه التصنيفات والمعايير لا وزن لها عند الله؟

كما إنّها لا تغني لهم من الله شيئا !

طبـــــــاع

سألتُ جدتي: ما هي النصيحة التي تسدينها إلي بعد خبرتك الطويلة في الحياة، فتريديني الالتزام بها؟ وما هي فئات البشر التي ينبغي التعامل معها بكلّ حذر؟

أطرقت جدتي قليلا، ثم رفعت رأسها وقالت: يا بني!

تعامل مع كل الناس بطيبة، لأنهم من حيث الفطرة طيبون، ولكن حذار أن تطلب شيئا من أربعة، ولو كانت حاجتك موجودة في أيديهم: الحاقد والحاسد واللئيم والبخيل، فلا تتعامل معهم أبدا، لأن المنع في طبيعتهم وفي جبلّتهم، فقد رضعوا من ثدي واحد.

أطرقتُ مليّا ثم قلت: صدقتِ يا جدتي، فمن عادى لكَ جدّا فلن يقّدم لك ودّا !

منظومة قِيَمِيَّة

الحرية والصدق والاحترام والحب والأمانة والوفاء والصبر والإخلاص. كلها مفردات ضمن منظومة القيم التي تحكم المجتمع الإنساني، ولكن تطبيقها يسير وفق نسق معين بحيث تكون كل واحدة متطلبا سابقا للأخرى، فجميل بالمرء أن يمارس تلك المساحة من الحرية، والتي لا يتم التعدي من خلالها على حريات الآخرين، فيحترم حرياتهم جنبا إلى جنب مع حقه في ممارسة حقه في حريّته الشخصية، كما إن للمرء الحق في ممارسة حقه في الارتياح والحب لمن يشاء، وذلك كون الحب عاطفة إنسانية سامية، ما دامت وسيلة وليست غاية في حد ذاتها، ولقد كتب فيه أحد كبار فقهاء المذهب الظاهري وهو ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة في الألفة والألاف" معالجا تلك القيمة وواقفا عليها، ولكن ينبغي أن يقترن ذلك بالصدق، لأن الصدق كذلك قيمة إنسانية سامية مثلها مثل باقي القيم الأخرى في المنظومة.

إن المنطق والعقل يحتّم أن يتم تعامل المرء مع هذه المفردات وفق هذا النسق، حيث لا مجال للانتقائية في التطبيق ...أقول هذا على ضوء الواقع الذي يتم فيه القفز فوق تلك القيم والقفز كما هو بيّن على الساحة في المشهد، ليتم التعامل معها على مبدأ المكسب والخسارة !!!!!!

أسف على المتنبِّي

عشقت شعر المتنبي بله شخصيته منذ نعومة أظفاري، وذلك مذ كنت حديث عهد بالأدب واللغة، ولقد تكوّنت لديّ منذ ذلك الزمن صورة محببة عنه وعن شعره وأدبه، فصرت أتابع قصائده وأشعاره، ولقد صدمتني تلك النهاية المأساوية والتراجيدية التي انتهى إليها، ويعلم الله أنني كرهت فاتكا الأسدي الذي وضع نهاية لذلك الفحل الذي قل نظراؤه، لما كان عليه من اعتداد بالذات نفتقده في هذه الأيام على المستوى الواسع في هذه الأمة، ولعل موطن الشاهد هو هذه الأبيات التي دشّن فيها هجاءً مبطّنا لكافور الإخشيدي، وذلك من خلال مدحه له في قصيدته الطويلة والمشهورة التي دبّجها والتي كان مطلعها:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

ولكن موطن الشاهد الحقيقي فيها هي هذه الأبيات التي وقفت أمامها طويلا الآن ، كما وقفت عندها مطوّلا من قبل، والتي تحمل نوعا من العتاب المر والأسى الذي أوصله إلى هذه المرحلة من البؤس، بسبب الاعتداء الصارخ على القيم التي كان يؤمن بها شاعرنا، بعد تركه بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب، ميمما شطر مصر إثر خلاف جرى بين الاثنين، حتى إنه ليلوم قلبه الذي

لم يستفد من وفائه شيئا، فيوسعه لوما مرّا علقما متهما إياه بالسذاجة، والتبرؤ منه لو لزم الأمر، واتهام عينيه بممارسة الغدر عليه لبكائهما على الغادرين الذين تركهم خلفه، والأسف من الجود الذي لم يجد شيئا، وعدم الإيمان بالمظاهر الخادعة، كما انه ليعطي قلبه التعليمات صراحة، طالبا منه التوقف فورا عن حب من ليس أهلا للحب، لأنه تعرّض لخذلان كبير ممن أعطاه كل ما لديه من مشاعر:

حَبَبْتُكَ قَلْبي قَبلَ حُبّكَ من نأى ... وَقد كانَ غَدّاراً فكُنْ أنــتَ وَ افِيَا

وَأعْلَمُ أنّ البَينَ يُشكيكَ بَعْدَهُ ... فَلَسْــتَ فُؤادي إنْ رَأيْتُكَ شَاكِيَا

فإنّ دُمُوعَ العَينِ غُــدْرٌ بِرَبّهَا ... إذا كُــنّ إثْرَ الغَادِريــــن جَوَارِيَا

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصاً من الأذَى ... فَلا الحَمدُ مكســوباً وَلا المالُ باقِيَا

وَللنّفْسِ أخْلاقٌ تَدُلّ على الفَتى ... أكانَ سَــخاءً ما أتَى أمْ تَسَــاخِيَا

أقِلَّ اشتِياقاً أيّهَا القَلْبُ رُبّمَــا ... رَأيْتُكَ تُصْفي الوُدّ من ليسَ صافيَا

خُلِقْتُ ألُوفاً لَوْ رَجعتُ إلى الصّبَا ... لَفارَقتُ شَيبي مُوجَعَ القلبِ باكِيَا !

آسف

الأسف شدة الحزن والمبالغة فيه كما جاء في معاجم اللغة، وشدة الحزن على السلوك لا يكون بالثبات عليه والدوران حوله وفي إطاره، ولكنه يكون بالتوبة عن ذلك السلوك والرجوع عنه في إطار من الاعتذار، كما إنه يكون في سلوك يمكن التعامل معه في القضايا البسيطة والتي ليست مصيرية، كما لا يكون مع سبق الإصرار والترصّد، لذلك يحسن الأسف في الانتهاء عن السلوك السلبي وإنهاء كل آثاره، قبل الأسف أو بعده، اما ما يجري في حياتنا، فما هو إلا عبارات مجاملة مستهلكة تستخدم في ثقافتنا، وهو ضحك على اللحى والذقون، بعد الإمعان فيما يلحق للمتأسَف له من ضرر وأذى، وربما كان الأسف بحاجة إلى أسف.....!

فتوى

أشرق الصباح بِشرا، فذهبنا إلى أعمالنا في ذلك اليوم، ونسينا ذواتنا في خضمّ تلك الحياة الرتيبة التي نعيشها بين سندان التنظير ومطرقة الواقع، وتناقشنا مع أصدقائنا في جلساتنا - وما أكثر ما يثار هذا الموضوع موسميّا - عن مشروعية (**يوم الأم**)، مدّعين أن هذا اليوم لا أصل له في ديننا ....

نسينا كل شيء اِعْوَجّ فينا؟، وتمترسنا - شأننا دائما - عند القشور، ونسينا الأصل والجوهر واللباب ... حسمت دائرة الإفتاء العام ذلك اللّغط بأن لا غضاضة في ذلك، ولكنني عدت متأخرا جدّا من يومي، فوجدتها تنتظر أوبتي .....

كنت أحمل لها أشياء أساسيّة، فقد أنستني رتابة الحياة أن أحمل لها هديّة كما الناس، ولكنها لم تلمني أبدا، قبّلت يدها التي أقبّلها كثيرا خاطبا برّها، فقد عرفت انتظارها ذلك من حرارة قبلتها لي، فكانت فتوى أمي هي القول الحسم، فقد أسدلت أمي الستار على ذلك الجدل العقيم ملخّصة المشهد، وانتهت الحكاية !!!!!

إرث مدعو إلى الترجل

المدرّج الروماني في أم قيس (جادارا)، مَعلَمٌ بارز من معالم حضارة سادت في حِقبة من حِقب التاريخ، وكان لها أثر كبير في الزمن الذي أنشئت فيه، ثم لم تلبث أن بادت، ولكنه لا يعدو في الوقت الحالي إلا أن يكون من الشواهد الدالة على تلك الحضارة التي اندثرت، فلا يصلح في تنفيذ الحفلات فيه، ولا في عقد المؤتمرات، بل ظل شاهدا دالا علي تلك الحضارة، وكذلك بعض الناس لا يزالون محتفظين بأفكار مثل هذا الأثر التاريخي، فلا تنفع كي يتم التعاطي معها في هذا العصر، بل لا بد من وضعها في إطارها التاريخي الصحيح، فحتى تتسق مع إطارها التاريخي، فينبغي أن تكون واحدة من معالم أحد متاحف التاريخ، كي تكون دالة على الفترة الزمنيّة التي كانت سائدة فيها وحسب !!!!

سعادة

لم يسع الإنسان منذ خلق على وجه الأرض، كما كان سعيه في البحث عن السعادة وكنهها، والوسائل التي توصله إليها، وكأن السعادة كنز مدفون في باطن الأرض، ولقد شغل بها الفلاسفة والمفكرون منذ العصور المتقدمة، فراحوا يجوبون الفكر بحثا عن آلية يذللونها للمرء كي يعيش السعادة كما تنبغي .

عندما فكّرت في الأمر مليّا ، وجدت أن الإنسان يكفيه القليل حتى يكون سعيدا،" من بات آمنا في سربه ، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنه حيزت له الدنيا بحذافيرها " .

فهو إما أنه يعيش السعادة وهو لا يعي ذلك، أو أنه يبحث عنها ويجدّ في طلبها ليعيشها، وعندها يكون سعيه نحو السعادة سعادة بحد ذاتها، وذلك على الرغم ممَّا قد يحياه من مرارة ومعاناة في سبيل الوصول إلى تلك الحالة، وتعجبني مقولة لتولستوي الفيلسوف الروسيّ عندما قال:

"مع إنّنا نبحث عن السّعادة غالباً وهي قريبة منّا، كما نبحث في كثير من الأحيان عن النظّارة وهي فوق عيوننا".

ثقافة الاعتذار

الرجوع إلى الحق فضيلة...مقولة وردت في الحكمة عند العرب، وتناقلتها الأجيال منذ القدم، ولكن عندما يتم مداواة الجرح حتى يبرأ، ليتم التعالي على ما في الجرح من ألم، وعودة المياه إلى مجاريها الطبيعية، فإن المجروح يكون قد سما إلى منزلة ساوى فيها الملائكة، واحتواء الألم الناجم عن الجرح حالة لا يتعاطى معها إلا أصحاب النفوس الكبيرة؛ الذين تتصاغر عندهم الأشياء حتى لا تكاد ترى ...

التعالي على الجراح دأب الأصالة، والصفح عنها نوع من أنواع الكبرياء التي لا يحسها إلا من عاش الواقعة، ولا يعدلها إلا نظرة الانكسار التي يعيشها المعتذر صاحب الفضل في الرجوع عن الخطأ، وتلك النبرة التي تتحشرج في الصوت عندما يقرر تغيير المسار الذي بدأه، وثقافة الاعتذار هي الثقافة التي لا يجيدها إلا بارع في النزول عن طبيعة الذات التي ترفض التطامن، فإذا كان البقاء على الباطل رذيلة، فإن الرجوع إلى الحق فضيلة !!!

نفحات فجريّة

نفحات الفجر نسائم عليلة تهب على الأرواح المتجرّدة لربها، وهي في الوقت ذاته تراتيل روحانية تلامس شغاف القلوب التي تتوق إلى مناجاة بارئها، ووقت الفجر زمن تَبدُّل الفريق العامل من الملائكة، لتُناط المسؤولية بفريق جديد منهم، فهم يلتقون في صلاتي الفجر والعشاء....

عند الصباح تسمع تغريد البلابل في الحديقة المجاورة، فتخال أصواتها شدوا ملائكيا، وفيه توزع الأرزاق على أصحابها وطلابها، فيقسم لكل واحد نصيبه، فرابح من حضر القسمة فنال نصيبه، وخائب خاسر من أضاع رزقه الذي كان ينبغي له، بتضييعه هذا الوقت المبارك الثمين، حتى إن العرب تفاءلوا بالصباح والعمل فيه فقالوا: عند الصباح يحمد القوم السرى!!!!!!

مظاهر ومخابر!

بعض الشخصيات ممن شاءت الأقدار أن يتم التعامل معها بطريقة أو بأخرى، يأسى المرء على إضاعة الوقت في التعامل معها، والبعض الآخر من هذه الشخصيات تحسبها وتصنفها ضمن فئة معينة ممن عرفت من الناس، حتى إذا حككت معدنها جيدا، واختبرت كنهها بعد سلسلة من التجارب، وأخضعتها لمعايير الجودة المعمول بها ضمن المعارف والأصحاب، وتجاوزت حدود المعرفة السطحية والحكم المتسرع الآني عليها، وجدتها أروع بكثير مما كنت قد صنفتها ذلك التصنيف، وسمت في نفسك علوا ومكانة وقدرا، فتصير ضمن الشخصيات المهمة التي تستحق النظر إليها باحترام وتقدير، ووجدت معها الراحة والاطمئنان ...

تلك هي الحياة التي تجبرك على إعادة النظر بمن يمرون أمامك في المشهد بين الفينة والأخرى إيجابا أو سلبا !!!

عـــــــــذر

التماس الأعذار وإحسان الظن بالناس من جميل الأخلاق التي قد يتصف بها المرء ابتداء، ولذلك ذاع بين الناس في الحكمة: التمس لأخيك عُذراً، ولأمر ما انتبه كثير من الشعراء إلى هذا الشطر الذي يتضمن معنى ساميا، فضمنوه قصائدهم وأشعارهم، لما لهذه السجيّة من فضائل، ونظرا لما لهذا الخلق من تأثير بين الناس:

لعلَّ له عُذراً و أنتَ تلومُ وكم لائمٍ قد لام وهوَ مُليمُ

(صريع الغواني)

تأنَّ ولا تعجَل بلَومِكَ صاحِبا لعلَّ له عُذراً و أنتَ تلومُ

(دعبل الخزاعي)

لكَ اللهُ لا تذْعَروَليًّا بغَضبة لعلَّ له عُذراً و أنتَ تلومُ

(أبو العلاء المعري)

ما أجمل أن تجد من يحاورك منطقا بمنطق، مراعيا معك قواعد الحوار والحكمة والمنطق، ولكن حتى لو لم يستطع مجاراتك في ذلك، واتساقا مع المعنى المتضمن في الشطر الشعري ، فقد يكون لديه ما يقوله أو قد لا يستطيع قول ما لديه، أو قد يكون ذلك تحت تأثير ما كان وراء الشعور أو خارج إطار المشاهد ...عندها يكون لسان الحال قول الحكيم: التمس لأخيك عذرا، ولعل له عذرا وأنت تلوم !!!!

هلّا نملة واحدة !

يحكى أن النبي ﷺ قال: «نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت، فأوحى الله إليه :فهلا نملة واحدة»، أي فهلا عاقبت نملة واحدة، وهي التي قرصتك لأنها الجانية وأما غيرها فليس لها جناية.

هذا المنطق ينبغي أن يطبق بين أبناء البشر، فضلا عن الحيوانات والهوام والدواب، فلا يوجد ذلك الفرد (**السوبر مان**) الذي يمكن أن يتبرك فيه، وليس هناك شعوب مختارة، وقد ولّى الزمن الذي ظن فيه بعض الناس أن الجنس الآري هو أنقى الشعوب، وأن دماءه هي أنقى الدماء، ونتندّر على من ادّعوا أنهم شعب الله المختار، فكل البشر من آدم، وآدم من تراب، وإن معيار التفاضل بين الناس هو التقوى وحسب، فلو أن الإساءة وقعت من أحد في قضية من القضايا، أو في موقف من المواقف، وكانت تلك الجناية كبيرة جدا، إلى درجة قد تتجاوز جريمة من اغتصبوا أرضنا، وهتكوا عرضنا، واحتلوا مقدساتنا منذ عقود، ولذلك لم يستطع أن يتسامح معه لفداحة الجرم الذي اقترفه، فليس أقل من أن يحكم على تلك الحالة منفردة ،فيحرّم عليها ودَّه، لا أن يتعامل مع كل أفراد الجنس بمنطق المعاداة والمقاطعة وحرمان الود

والتعامل، واعتبارهم أعداء الملة والدين، حتى إنه ليستغرق أفراد تلك الفئة كلها الكبيرَ والصغيرَ، أو الذي ما يزال في السرير، وربما من لم يولد بعد، فلا يتسامح معه في الكبير أو الصغير والقطمير من الأشياء!

صيـــــّاد

قيل إن صيّادا ماهرا وحاذقا ضاق ذرعا بالأشواك التي أدمت يديه، وهو يحاول قطف وردة جميلة متفتّحة، جللها النّدى وسط تلك الأشواك التي تشابكت والتفّت بشكل كثيف، وإن امرئ قد تبرم من الأصوات النّشاز التي تعلو المشهد حوله، والجلبة الّتي كانت تشوّش عليه فرصة السماع والإصغاء، فتعيقه عن متابعة لحن ساحر شجي، كان يتابعه ويستمع إليه بكل انتباه، وأن غيمة سوداء مظلمة وضبابا كثيفا غطّيا مدى الرؤية، فحالا دون التّمتّع بمنظر جميل كان يتأمله بكلّ حواسه، ولكنّ كل هذه المعيقات التي تعلو المشهد على سوئها، لم تلغِ ما أحسه في الوردة من جمال، ولم تحل دون سحر اللحن الساحر الشّجي، ولم تلغِ جمال روعة المنظر المعروض .....

هكذا هي الحياة كما خبرتها، فلا يكتمل فيها سرور قطّ ...

تربيـــــــــة

تربية القهر، وتربية القمع، والتربية السلطوية، من المفاهيم التي نستهجن أن يتم التعامل معها في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، وذلك لأنهما أصبحا من مخلفات الزمن الماضي البعيد، بعد أن تجاوزت الإنسانية عصر الذرة بكثير، وصارت البشرية تعيش عصر الانفتاح والحضارة والآثار المدنية الناجمة عنهما، فقد أصبح العالم تلك القرية الكونية الصغيرة التي تستطيع التجول بين أزقتها وحواريها بأسرع الأوقات وأرخص الأثمان، وذلك من خلال علبة إلكترونية صغيرة بين يديك في أي وقت تشاء أو زمان تختار .

ولعل العجب العجاب أن يعيش المرء مستخدما نتاج هذه الحضارة ، ولكنه لا يزال يعيش بمنطق وعقلية الماضي المتخلف البعيد، فهذا مما لا يخطر على البال، حتى تراه وتحسه من بعض ممن يعيشون بيننا وبين ظهرانينا، فلا هو عاش في ظل ذلك العصر بمعطياته، ولا هو عاش بيننا بمنطق عصرنا، وعندما أرى من أمثال هؤلاء في معترك حياتنا العامة، فإنني أستهجن ذلك كثيرا، ولعل علي بن أبي طالب ﷺ قد أشار الى هذا الأمر في وقت مبكر من خلال الدعوة الى مراعاة ذلك تربويا: " **ربوا أبناءكم لزمان غيرزمانكم** ".

أستهجن ذلك ولسان حالي المثل العربي القديم: "**عِشْ رجَبًا ترى عجبًا** "!!!

محاورة

سأل العصفور وردته الجميلة: ما هو أكثر شيء شاقك خلال فترة إزهارك في هذه الدوحة الغنّاء؟

فأجابته : لقد راقتني أشياء كثيرة، ولكن لم يرقني شيء في الدنيا أكثر مما راقني منظر جناحيك، وهما يظللان بتلاتي ذات صباح مشمس، في الوقت الذي تكون فيه قطرات الندى ما زالت تغمرني رأسا لقدم، فها هو الطل يصنع لي رحيقا للحياة، وها هو ظلك ينعشني فيحيلني إلى حالة مميزة ونادرة من الشعور.

تأمّل العصفور الوردة في دوحته، وفي نفسه من جوابها الكثير الكثير من التأثر!

انتظار ولا قرار

تنتابه الهواجس وتراوده الشكوك..... سئم مراقبة حالة الانتظار اللامتناهية، ولم يبق لديه ما يقوله إلا سلسلة غير متناهية من الآهات التي لم تثمر على الأرض واقعا جديدا ..... حالة القهر هي التي تسيطر على المشهد بجميع جزئيات الصورة .....مل حالة اللا قرار التي لم تتقدم قيد أنملة.. سمع حوله همسا، فأطرق ثم سرّح نظره في الأفق البعيد، علّه يجد قادما، ولكنه أعياه طول التأمل والانتظار... وجد ركنا يتفيأ فيه بعضا من الراحة بعد مشواره الطويل لالتقاط الأنفاس، فمال إليه ناشدا أريحية عبر محطات التعب المترامية على جانبي الطريق..... هدأت ضوضاء الأصوات التي لفت المشهد حوله ، فسيطرت رتابة الحال عليه، ثم راح في نوم عميق !

سلمى

فتح صاحبي كتابا ليقرأ فيه، وإذا في صفحته الأولى:

قالت بنات الحي: يا سلمى وإن.... كان فقيرا مُعدِماً؟ قالت: وإن !

كم أحترمك يا سلمى، وكم أثمّن هذا الرأي فيك !

قلت له: وكم هنّ السلماوات اللواتي في الخدور، ممن لم يصلن إلى الدرجة اللاتي يحاكين فيها سلمى البدويّة الوفيّة .

أمعن فيّ صاحبي، ولكنّه لم ينطق ببنت شفة .

وقود

توقفت مركبته عن المسير بعد أن نفد وقودها، هو ما زال في طريق الذهاب قبل أن يصل محطّته .....تفحص الأسباب التي أدت إلى التوقف: الكهربائيات، خزان الوقود، وجد خزّان الوقود فارغا تماما، فما كان منه إلا أن لملم ذاته، وطوى سجلاته واضعا إياها في أماكنها، واختصر آخر فكرة من سيل أفكاره، ثم تنحّى جانبا صوب الظل ليس خلودا للراحة التي ما عرفها منذ زمن طويل بل نأيا بنفسه عما يزيده تشويشا وتوترا، وطلبا للاسترخاء بعد طول شدٍّ، ثم راح يستعرض سيلا من الأحداث والذّكريات التي حصلت معه أثناء الطريق، قبل أن ينفذ وقود السيارة، وما أن توسد يده، وصار يتابع المشهد الماثل في الذاكرة حتى راح في سبات عميق !!!!

عتاب مرّ

الشاعر الجاهلي المثقّب العبدي يعاتب صديقه عمرو بن هند ملك الحيرة، ضمن قصيدة طويلة تعد من عيون الشعر الجاهلي، ومن القصائد الجاهلية المشهورة التي يشار إليها بالبنان، وذلك بصورة قد تكون صالحة للتكرار في غير موقف في هذه الحياة :

إلى عمروٍ، ومنْ عمروٍ أتتني أخي النَّجداتِ والحلمِ الرَّصينِ

فإمَّا أنْ تكونَ أخي بحــقٍّ فأَعرِفَ منكَ غَثّي من سَـميني

وإلاَّ فاطَّرحني و اتّخذني عَدُوّاً أَتَّقيـــــــكَ وتَتَّقيني

ترى هل كان "**المثقّب العبدي**" مُتعجّلًا عندما تعامل مع عمرو بهذا المنطق؟ أم أنه كان مضنى بدرجة كبيرة من الطريقة التي يدير بها عمرو الأمور، ومن نوع المنطق الذي يتعامل به عمرو مع صاحبه؛ الأمر الذي أقض مضاجع المثقّب، بحيث تعامل معه بهذه الحدّة البيّنة والواضحة ؟

لعلي ألتمس للمثقّب العبدي من الأعذار ما يجعله محقا في هذه الدعوى إلى المفاصلة وتبيان الأمور، لتسهيل عملية محاكمة الواقع على الأرض، ولوضوح الرؤية، لأن كثيرا من المواقف الحياتية تستمر بشكل معوجّ فترة طويلة من الزمن ظانين أن ذلك هو المسلك الصحيح، مع أن الحق خلافه !

أمـــــــــــــــل

هي الحياة .. كلما خفت النبض فيها، وأقفرت بحيث لم تعد بالصورة التي عهدناها بها، وأظلمت حتى لا يكاد المرء يرى ما حوله، وظن أنّ الأمور وصلت إلى طريق مسدود، قام الأمل بإشعال جذوتها من جديد، وتزويدها بالوقود اللازم لإكمال مشوارها، و إيقاظ أحلام الرجاء ، وتجهيز مراكب السعادة، وإعداد زاد الرحلة التي يممت شطر موانئ الغبطة والسعادة، فتحدِث في النفس ذلك الشعور الغامر، الذي يعطي النفسَ شحنة من الطاقة الكفيلة بإشعال جذوة الحماس، وإكمال بارقة الأمل لرسم اللوحة وإكمال المشهد !

رثاء ذات

تأمُّل الغروب وهو يلملم ذاته، ويجمع أشياءَه مودعاً بعد نهار طويل، لَهوَ مشهدٌ يثير في النفس الكثير من الفزعِ، ومشهد الظلام وهو يخنق أنفاس النهار شيئا فشيئا، هو كذلك من متممات المنظر الماثل أمام العين والقلب، وقوافل المسافرين وهم يغادرون المحطات التي حلوا فيها واحدا تلو الآخر، ثم يتركونها، لهو مشهد يبعث في النفس الكثير من الأسى والحزن، وأن تسرح الروح في رحلة قصيرة قد تمتد ساعات أو دقائق أثناء النوم، لهو مشهد يملأ النفس وجلا من سفر بعيد بعيد، ورؤية فتيلة السراج، وهي تمتص آخر ما تبقى من وقود فيه، هو نذير أسى ومبعث وجل لمن يتأمل المشهد بعمق ، ناظرا إلى ما وراء الأفق.

لله درها من مشاهد تراجيدية مؤلمة، نعايشها ونتعامل معها صباح مساء! ولكنّ ضوضاء الحياة والانغماس في زحمتها، هي التي تجعلنا نغفل عن قسوة الصورة وقتامة الألوان ... أقول هذا ولسان الحال قول المُتحنّف "**قس بن ساعدة الإيادي**" عندما وقف خطيبا في قومه في سوق عكاظ :

لما رأيتُ مواردا للموت ليس لها مصـــــــادر

ورأيتُ قومي نحوها تسعى الأصاغروالأكابر

لا يرجعنْ قومي إلي ولا من الباقين غابـــــر

أيقنت أني لا مُحالة حيث صار القوم صائر!!

خواطر من متابعة وقع الحدث المنبعث من مشهد وداع لعزيز

مساء ربيعي

ما أجمل أن تجالس ترنيمات الربيع متمتعا بنسماتها الحلوة الشجية! وما أجمل أن تتمتع بخلجات الأمل الممزوجة بعبق التفاؤل، لترى الحياة على طبيعتها؛ لوحة فنية أخّاذة يزيدها ألقا أنسجةُ أشعة الشمس الذهبية، التي تداعب أغصانَ الزيتون المزروعة بين أقحوان بلادي، وتراقص سنابل الوطن الخجولة من أرض معطاءة عانقتْ سوسنةً جميلة، أو عبثت بجدائل شقائق النعمان النديّة، أو داعبت دحنونَ بلادنا النضر، والتي يجللُ بهاؤها محيّا الجمال، فيجعله خجلا متواضعا أمام جلال جمالها الأخاذ، تلك هي أنفاس الربيع العذبة في ديرتنا العذية، وذلك هو ديدن الربيع النَّيْساني لدينا، نفَسٌ سرمديّ لا يُمَلُّ، وسيمفونيةٌ جميلة تعزف أرق الأنغام، وتجري على مسامع المجد أعذب الألحان!

(مجاكرة)

الذين يحصلون على مراتب ومكاسب، مدعين أنهم الأجدر والأحق، وأنهم الحريّون بذلك دون غيرهم، ومتناسين الأحقّيّات التي تم تجاوزها والقفز عنها، هم يمعنون في قتل تلك الذوات التي تم تجاوزها من غير وجه حق، فإن ذلك كمن يذبح الشاة قاطعا أوداجها، ولكنّه يمعن في إيذائها وتقطيع آذانها وبقر بطنها، وفَقْئِ عينيها ، وتقطيع أوصالها، وهي لا زالت حيّة، كما إن تسويغهم لمتخذ القرار فعله المشين وهو يدعي العدالة، مثل الذي يسوّغ للعاهرة فعلها مبينا ذلك انه منتهى الطهر والعفاف، ويشيد بمن سهّل بين طرفي العملية تلك ...

أقول ذلك بعد سيل التبريرات التي تكال بعد كل تجاوز في التعيينات التي تتم، وكل واحد يعرف أن المبضع قد أعمل فعله في الجسم العام منذ فترة زمنية طويلة، وهو من الوقاحة بحيث أصبح عصيّا على الإصلاح الحقيقي، او الاستماع والاستجابة لنداء العدالة الذي يئنُّ تحت ضربات الظلم والإجحاف الممارس صباحَ مساء، على مرأى ومسمع دون أن يرمش لمنطقهم جفنٌ ، أو يهتز في ضميرهم وازع ..... نقول لأهل الحضوة ما يتردد في موروثنا عبر السنين (إذا كان الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب) !!

مفارقات

نحب الشمس عمرنا، ولا نستطيع الاستغناء عنها، ولكننا قد نحس ببعض الضيق منها في بعض الأحيان، ولو كانت ذات إحساس، لتبرمت وضاقت من شدة وطأة ذلك الشعور وتلك القسوة، ونرتاح لكثير ممن حولنا من بني البشر، وقد نعشق بعضا منهم حدَّ الثمّالة، ولكننا قد نجافيهم في بعض الظروف والأحيان، فقط لأننا نكون في ظروف عصيبة، وقد لا نستطيع استيعابهم فيها.

هي الحياة تتجاذبها رياح الضيق والارتياح، والانبساط والاكتئاب، والسعادة والتبرم، والفرح والشقاء ..... بكل بساطة لأننا بشر !!!

حســـــد

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلنــا لوجهها زورا وظلما إنــه لدميم !!!

منذ أن خلق الله - سبحانه وتعالى المخلوقات، والحسد موجود بينهم بصورة أو بأخرى، فهذا إبليس يستكثر على آدم ان يُسجِد الله تعالى له الملائكةَ من غير طلبة منه أصلا، بل اختصاص من الله تعالى له، فيكيد له إبليس ويناصبه العِداء بعد أن رفض أوامر خالقه، ويستمر الكيد في السبيل المعروف الذي زَيّن فيه لآدم معصية ربه، وطلبه منه الأكل من الشجرة، فيعاقبه بالخروج من الجنة، فيستمر الكيد بطريقة أو بأخرى، فلم تكد قدما أول إنسان تطأ ثرى هذه الارض، حتى تستمر الهجمة الشرسة من الشيطان لبني آدم، ورسم سياسة تتمثل بعداء آدم وبنيه حتى قيام الساعة .

ولكن هناك من بني البشر من امتهن صنعة الشيطان هذه، فصار نائبا له ومنفّذا لأعماله، بعد أن قبل كون الشيطان مديرا لأعماله، فالشيطان يخطط، وهو ينفّذ ما يعجز الشيطان عنه، متخذا الكثير من الوسائل الكفيلة بتحقيق ما يصبو إليه، وهذا الأمر يلاحظ في كثير من المواقف الحياتية والشئون المعيشية على حد سواء .

ولو أُريد معرفة الدافع والباعث على هذا السخط الذي نجم عنه هذا الحسد، لوجدتَ أن سبب ذلك يعود إلى قصر في النظر، لأنه يكره نعمة على واحد ليس له فيها فضل لا من قريب ولا من بعيد، وهو يكيد له من أجل زوالها، وربما كانت من قصر الهمة، بحيث يعجز عن ولوج مدارج النجاح والترقي فيها وسلوك طُرقها، فيجد أقصر الطرق إلى ذلك مناصبته العِداء، والكيد له بشكل مباشر أو غير مباشر، ذاما في مواطن الحمد في جانب، ومحاولا إعاقة المسير في جوانب.

ثقافة التصفيق

حيثما سرّحت نظري في ربوع وطني لاحظت شيئا واحدا ونسخة (مكربنة) لسلوك غير حضاري عند كل الشعوب الراقية، ولكنه تكرّس في ثقافتنا وموروثنا بحيث صرنا نظن أن خلافه غير صحيح، ولعل السبب في ذلك أننا تربينا عليه فترة طويلة من الزمن وربينا أبناءنا عليه، وهو التربية على التصفيق في جميع المستويات والمحافل، وبما يجعله ظاهرة صارت تعرف على أنها (الثقافة الأردنية في النفاق والتزلّف)، وقد انتشرت هذه الثقافة في كل المحافل بحيث لم يخل منها محفل إلا ما رحم ربي، وينسحب هذا على المستوى السياسي والاجتماعي(الأفراح والأتراح) والتربوي والديني والثقافي، فحيثما وليت وجهك وجدت ذلك بارزا وواضحا بما لا يدع مجالا للشك، وكأن هذه الثقافة صارت ركنا من أركان بنيتنا في هذه المجالات المذكورة، والأدهى في ذلك والأمر، أن يكون ذلك سلوكا طبيعيا لدى بعض أصحاب الفكر والرأي، ممن يشغلون مكانة في ضمير المجتمع ووجدانه .... فإلى أي حد كانت هذه الثقافة - سيئة الذكر- مسؤولة عن النتائج الصادمة التي وصلنا إليها في كل المستويات المذكورة؟؟

تقليد

لكل أمة من الأمم موروث ثقافي، فهي تسعى إلى التعامل بمقتضاه : إن على المستوى القريب من العلاقات أو على المستوى البعيد منها، وتحاول - ما أمكنها - تجاهل الظروف والمتغيرات الحياتية التي استجدت في الحياة المعاصرة، أو التقليل منها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، مما اقتضى السرعة وضيق الوقت في طبيعة الحياة، فتجد أن ديدن هذه المجتمعات أن تستقبل بالكرم والحفاوة، ثم تودّع بالحفاوة والكرم كذلك، ولكن أحيانا - عندما يدنو موعد انتهاء الزيارة ، فيستأذن الزائر هاما بالمغادرة تطبيقا لمقتضى: " فإذا طعمتم فانتشروا في الأرض ولا مستأنسين لحديث"، عندها يقوم المضيفون بتصبير الزائر لاحتساء القهوة قبل المغادرة ختاما للزيارة، وجريا على هذا الموروث، فيصرون على ذلك بحيث تكون القهوة - حينها - أكثر أهمية منها عند الشاعر محمود درويش، وتصير تلك الدقائق ثقيلة في ظلها على الذات؛ فيتجشّمها حياء ولسان حاله: هل صارت القهوة تعني لنا من التجليات ما تعنيه لمحمود درويش في دواوينه، أم أنها تقليد أبعد ما يكون عن ذلك؟

مواقف

قال صديقي: هي الحياة، تنعم علينا بكثير من المواقف، التي نتقابل فيها بشخصيات: قريبة أو بعيدة ،فيتركون بصمة في حياتنا، فنظل نذكرها عمرنا، وكذا بعض الشخصيات التي تعجز عن اتخاذ مواقف إيجابية ،فيرتكسون بعد أن يعرض لهم أوان تسجيل هدف من ضربة إرادة ، ويظلون حبيسي عجزهم وانحطاطهم ما عاشوا ...

تأملت كلام صديقي وكان لسان مقالي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم..

الجود يفقر والإقدام قتال !

قال : صدقت يا صاح .

وجهة نظر

كلما نظرت من عل مستطلعا معالم المشهد التي تملأ السهل والوعر، أشعر بالبؤس وغير قليل من الإحباط، لدى الناس في محاولات التغيير المنشود، ذلك أنَّ ما يبغونه يزداد بعدا وصعوبة في المنال، واستحالة بلوغه حسب المعطيات الموجودة على الأرض، لأن من طبع التغيير أن يواجه مقاومة، ومن منطق الأشياء، أن تتناسب محاولات طرديّا مع طول العهد بالفساد الذي استشرى منذ زمن طويل، فتمكّن وثبّت جذوره في الأرض تثبيتا قويّا .

ولأن الذين يسيطرون على معالم المشهد، يزدادون صلافة وعنفوانا واستبدادا، كلما أحسوا أن طلاب التغيير غير مستعدين لدفع فاتورته وضريبته: معاناة وتضييقا، ولا يملكون غير التمترس خلف الشاشات الزرقاء سبيلا للوصول إلى مبتغاهم، وهذا الأمر -بهذه الشاكلة- لا يعدو أن يزيد على كونه وسيلة للتواصل والتألب فيما بينهم، ولكنّه لن يكون أكثر بحال، وذلك بعد أن تم تغييب الرموز الوطنية تغييبا قسريّا : ترغيبا واستمالة أو قهرا وترهيبا ، فمثل هذه الوسائل لا تفيد في التغيير المنشود، وهي وسيلة عاجزة مثل عجز (**جمعة مباركة**) التي يتم تبادلها بين الأفراد، في إيجاد بركة في أيام لا نرى فيها غير البؤس والغلاء والقهر... تطوير وسائل التغيير وآلياته أمر ضروري للتعامل مع المتغيرات التي تتسارع يوما بعد يوم !

ثلاثيّة غرناطة

لم يعد أمامنا سوى الرحيل!

لو تركت لهم أرضي وداري أموت كمدا قبل الوصول إلى الميناء .

والله يا أخي ما يعذبني أكثر من السؤال: أين ذهب العرب والمسلمون؟!

لا أمل في النجدة.

إذن فهو الرحيل.

لا غالب إلا الله.

بهذه النهاية ختمت رضوى عاشور روايتها (ثلاثية غرناطة) على لسان إحدى شخصياتها، منهية مأساة قرون من حياة الحضارة العربية التي نضجت في الأندلس؛ الرواية التي أتيت على آخر فصولها، لتذكرنا بالمعاناة التي لقيها العرب والمسلمون هناك من التطهير العرقي والديني، حيث لم تكن فصول النهاية، بل جاءت نكبة الأمة في فلسطين لتكمل خيوط المشهد، فربطت الروائية من طرف خفي بين خيوط المشهدين: السالف والحاضر، ولسان الحال قول الشاعر :

سيلحقون فلسطينا بأندلس يعطفون عليها البيت والحَرَمَا !

أبالسة البشر

سئل الياسمين: لماذا تتنكر فتتفتح أزهارك وتتضوع رائحة عبيرك عند المساء، وتظل كذلك حتى ساعات الصباح الأولى، فتلملم أشياءك، وتختفي قبيل بزوغ شمس النهار؟

فأجاب الياسمين: كي أتخفف من اختلاط أنفاسي مع أنفاس كثير من الخبثاء من بني البشر، فأظل على نقائي .

قلت: سبحان الله !

بعض الأنواع من الناس يتبرأ من أفعالهم إبليس فضلا عن النبات .

حالـــــــــــة

وقد رووا أن المخطئ يلتزم الصمت فلا يعربد طالعا ونازلا، ويكفّ عن الهذر حالّا ومرتحلا، ولا يكثر النواحَ والعويل، وحسبه من ذلك قلة في (**التخبيص**) لتهدأ حركة الأشياء، وليركد ما أثير من غبار، وتتضح الرؤية حوله، لأن من شأن ذلك تأزيم الأمور وصعوبة المسالك.

كما روى أهل الفهم والحكمة، أن من كان خالي الوفاض مما تعارف عليه الناس، فبحسبه منطقا طيبا يُؤثَر عنه، أو صمتا يسلّمه من عثرات لسانه، لأن لسانَ الحال وسط مثل هكذا عجيج:

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ...

فليسعد النطقُ إن لم يسعف الحالُ !

قُبلتان

رأيته فتى يافعا فيه من صفات البراءة الكثير، ربّما لم يتجاوز العاشرة من عمره، كان ذلك في المسجد، بُعيد انتهاء صلاة الجمعة بقليل ، كنتُ ألملم أشيائي، وأهمُّ بالخروج .

انتهى الفتى من قراءة سورة الكهف؛ المسنونِ تلاوتُها في كل ليلة جمعة أو يومها .... طبع قبلة على كتابَ الله الكريم، ووضعه في مكانه المخصص بهدوء وأدب جمّين .

ولأني كنتُ متأملا المشهدَ جيدا، ومتابعا له عن كثب، فقد لاحظت تطاولَه على رؤوس أصابعه، فظننته يريد أن يسرّ شيئا لأبيه .

وعندما عجز عن الوصول إلى رأس أبيه بحكم قِصَره، فقد تَطَامَن له أبوه، ليسر له أمر الوصول ..... طبع قبلة أخرى على جبين أبيه!

بقيت متسمّرا في مكاني وأنا أتأمل روعة البِرّ وروحانيّة المشهد، حتى برحا المكان، ولكنّهما لم يبرحا مخيّلتي .

تزييـــــــــــف

لست أدري لماذا أصبحنا مجتمعا مزيّفا بكل ما تحمل الكلمة من معنى ومضمون: إنْ على المستوى الرسمي أو على المستوى الاجتماعي، فقد غزا حياتنا مستغرقا كل مناحيها، فالعلاقات الاجتماعية التي يتم التّعامل فيها بين الناس مزيفة، ويستطيع الناظر والمتابع لها ملاحظة ذلك، سواء على المستوى الاجتماعي أو على أي مستوى غيره، والأخلاق التي يتعامل الناس فيها مزيفة في كثير من الأحيان، والمشاعر في وسائل التواصل الاجتماعي مزيّفة إلى حد كبير، وكثير من الصداقات التي بين بني الجنس البشري مزيفة، كما إن القضاء في كثير من الأحيان مزيف، لأن عدم استطاعة المرء الوصول إلى حقّه نذير شر، فهل سيكون التزييف آخر المسامير التي ستسقط مجتمعنا السقوط الذي لن يكون بعده من قيام!!

منـهج الكذب

كنت أظن أن الكذب حكر على الأفراد على المستوى الاجتماعي وحسب، فقد رأينا الكثير ممن امتهنوا ضروب الكذب حتى صار ديدنا لهم، فبه يعرفون بين من خبرهم من الناس، فهذا واحد يزوّر الحقيقة قالبا لها رأسا على عقب، كي يمعن هربا من استحقاقات فعلته الشنعاء، وهذا يريك شكلا مزورا من السلوك، ففي حين يري الناظر ما يسر من ضروب السلوك، فإنه يخفي وراءه ضروبا أخرى من النماذج القبيحة والسيئة .

الغريب في الأمر ما استجد في الحياة أن الدول والحكومات والجهات الرسمية صارت تمارس الكذب والتدليس نهارا جهارا دون خجل أو أدنى اكتراث بمعايير الأخلاق، علما أن كذبهم لم يعد ينطلي على الصغار والأطفال فضلا من عدم انطلائه على الكبار والعقلاء، وتوحُّد الموقف الرسمي مع الموقف الفردي .

تفكرت في الأمر مليا وقلت : عش رجبا ترى عجبا !

مقاربات

التاريخ لا يعيد نفسه كما يشيع بين الكثيرين من الناس في محاوراتهم، ولكن الظروف والملابسات تتهيأ، والمعطيات تتوافق لتشكل نسقا شاهدناه وعانينا منه الكثير، عبر استعراضنا التاريخي ومعايشة الواقع القريب .

فدار الندوة التي كانت تحاك فيها المكائد والدسائس زمن النبي عليه الصلاة والسلام موجودة بشكل أو بآخر، ولم تنته يوما ما، ومباركة أبي جهل وعنجهيّته المعهودة وبطوله الفارع حاضرة لها أبدا، وإنّ " يدا أبي لهب" اللتان أمعن كتاب الله الكريم في تبّهما وسبّهما، لم يبرحا المشهد حينا من الدهر، كما إن تقديم رأس نبي الله (يحيى) قربانا لزانية من بني إسرائيل، لم ينته هو الآخر، وما تورع بعض من في المشهد، عن اجتراح مثل هكذا خطيئات، بتقديم رأس أحدهم !

لله درك أيها الإنسان ما أقل ورعك، وما أجرأك على الله !

فطـــــــــرة

هي براءة الفطرة الإنسانية، التي جعلها الله بذرة طيبة منذ معانقتها وجه الأرض، وهي سمة نقيّة تتسم بها المخلوقات الغضة التي لم تتمرد بعد على الفطرة السويّة، وتتمثل في صورة لا تعدلها كل التغييرات التي تجري عليها من المجتمعات أثناء عملية التنشئة، وعندما تقارن بنماذج مغايرة، تدخلت فيها اليد الشريرة بالإضافة والتعديل من خلال التربية السيئة، والعبث بالفطرة، وحرفها عن سبيلها القويم، يتبين مقدار السوء الذي أحدثته تلك اليد بعبثها، ولعل هذا ما جعل الفيلسوف (روسو) صاحب النظرية التربوية الطبيعية يقيم فلسفته في التربية على مقولة:

"يد الله خيّرة، وما خلقته يد الله فهو خيّر، والتّدخّل السّلبي للبشر، هو من يفسد نقاء تلك الطبيعة وخَيْريّتها" .

قال لي صاحبي: ليته قال: بعض البشر يفسدون طبيعة خلق الله ... وافقته دون أدنى اعتراض !

دعوة

يقشعرّ بدني وترتعد فرائصي، كلما قرأت أو سمعت قول الله تعالى على لسان النبي الكريم **نوح** عليه السلام: "**رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا**" حتى يصل إلى قوله: "**إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** " .

أقول تصيبني قُشَعْريرة من هول دعوة هذا النبي الكريم على المنحرفين من قومه، فقد دعا عليهم وعلى ذراريهم، وما كان ظالما بذلك، ولعل الأمر يعود إلى إمعان أهلهم في الغي وتربيتهم على ما هم عليه من أخلاق، وخبراء اللغة وأهل الاختصاص الشرعي يعون ذلك الاستخدام المجازي للغة، لأن الطبيعة البريئة التي يولد الطفل عليها، تُحرف بأثر التربية إلى طبيعة فاسدة فيما بعد .

ليس هذا محور الشاهد الحقيقي، ولكن موطن الشاهد هو ما نراه على الأرض من أطفال في عمر الزهور، وفيهم من الحقد والعنجهية ما لدى أسلافهم مع بعد الشقة الزمنية والعمريّة بين النموذجين، وهي ملاحظة بارزة جعلتني أتساءل: هل أثر كل هذا الفعل يعود إلى السلوك الذي غرس في هؤلاء، أم هناك عامل جيني في الموضوع؟!

وبقي التساؤل قائما !!!

عصاميّة

(**زنبوط الجبل**) نبات يرتبط بانتهاء فصل الصيف وبداية فصل الخريف، لنبتة تنمو مثل غيرها من النباتات بعد نزول المطر تسمى (**العوصلان**)، ويتميز بزهوره البيضاء التي تشبه إلى حد كبير زهور نبتة الياسمين، وهو مضرب المثل في ثقافتنا التراثية، حيث يشبه به الإنسان الذي يكون نسيجَ وحدِه، فلا يعتمد على غيره مهما كانت الظروف صعبةً أو قاسية، ويصرّ على بناء ذاته بذاته، بعيدا عن مساعدة الآخرين، فينمو في نهاية فصل الجفاف، غير مكترث لقسوة الصيف وطول عهده في انقطاع الماء عنه، ولعل لسان الحال كلما رأيته بهذا الجبروت، مقولة صاحب لَامِيَّة العجم الشهيرة (**الطغرائي**) :

فإنما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على رجل ..

ما أجمل ما أنت عليه يا صاحب الجبل !

بلطجة

ظاهرة البلطجة والخروج على قانون الأخلاق، ليست حكرا على مجتمع دون آخر، أو فئة دون أخرى، كما إنها ليست محكومة بالجغرافيا أو المنزلة الاجتماعية، لأنها تتوزعها كل المجتمعات البشرية والكيانات الإنسانية بصورة نسبية، حتى في البيئات البسيطة، وهي قرينة الجهل والتخلف وقلة العقل في كثير من الأحيان، والاتّكاء على موروث مزيّف من الفضاضة وقلّة الذّوق، ومستغلة لجوء الآخر إلى التعقّل والمسالمة والنأي عن المهاترات، ومن عجب أن البلطجي لا يعوزه حتى يدخل هذا المجتمع المذكور إلا النزول من سمو القيم النبيلة وتجاوزها، إلى حضيض الوضاعة والانحطاط، ليمارس منطوق النّص الكريم:

"إن مما بلغته النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت"

المواقف الرمادية

التّنحي جانبا وعدم المواجهة، والركون إلى الظّل والميل إلى الجانب الرّمادي من المواقف، ومسك العصا من المنتصف، هروبا من الاستحقاقات والتّبعات التي قد تلحق بالمرء إيثارا للسلامة، لهي من أقبح العادات، ومن متلازمات كثير من الشخصيات في مجتمعاتنا، بحجّة المحافظة على مسافة متساوية بين ما تأكّد من بطلانه أو تأكّد من أحقيّته .

ولعلّ هذه الحالة تكرّس كثيرا من الممارسات الخاطئة في المجتمع، فتستغل سلبيا من قبل أهل المكر والدهاء تحت مسمى الأغلبية الصامتة أو أهل المواقف المحيِّرة، حيث تضيع الفرصة الذّهبية التي تجعل المخطئ يعيد النظر في حساباته، وتستمر المهزلة!

أحـــــــزان

حياتنا سفينة كبيرة محملة بأطنان من البضاعة ليست سوى الأحزان، وهي تبحر في محيط مترام منها، وتحيط بنا الأمواج العاتية من كل جانب! وهي نجدها أينما اتجهنا صوب أي جانب من جوانب حياتنا.....

ما أصعب الحياة وهي تعج بمصادر تترا من هذه الأحزان ! نعم ما أصعب أن نجد الناس ينظرون إلينا وكأننا عنوان الأحزان لديهم !

من أراد أن يحزن فما عليه إلا أن ينظر إلينا ، ويتأمل في حياتنا ليرى صنوف يجلب الحزن وضروبا من المصائب، فيتألم لما يراه، ويُدهَش لما يلمسُه لدينا من أشكالها، وكأننا أصبحنا تماثيلَ تجسّد الحزن من حولنا، فنحن نعيش في غابة من الحزن، وهو يلفها من أدنى جذورها إلى أعلى ورقة في أعالي أشجارها .

مسوغات الحزن كثيرة: فمن حب ضائع، الى أفكارٍ تعطّلت داخل عقولنا تحت وطأة معيقات كثيرة، تارة مبررة، وتارة دون تبرير..... الحزنُ على العيون التي تنهمر دموعا لكل إحساس ألم تعددت مسوغاته، وعلى الغربة التي تدمر منا الأحلام وهي في ريعان شبابها، حيث نصحو وقد ادركنا خريفُ العمر، والحزن على الألم والمعاناة على فراق الأحبة والمريدين، والحزن على الأمل الذي لاحت بشائره في

الأفق ولكنه لم يتحقق، وعلي الأنفاس والهمسات التي لم تجد من يفهمها فذهبت أدراجها، وعلى الحروف التي لم تجد من يقرؤها القراءة التي تليق بها، فبعثرت شر بعثرة .

فعلا إن الحزن يلف حياتنا بجميع مظاهرها، ما ذكر وما لم يذكر، وكأننا أصبحنا أطفالا وقد فقدنا أبوينا معا، فمسوغات الحزن والهموم تسكن في نبضات أوردتنا ..فما أكثره في دنيا انعدمت فيها الفرحة!

عقد قِـــرَان

عندما يعقد القران بين الجمال والبراءة من ناحية، ويجري المزج بين الطيبة والحسن من ناحية أخرى، فإنّ المشهد الماثل للعيان حينها، تعلوه حالة منقطعة النّظير من الجلال والقداسة، اللّتين تعلوان المشهد من رأسه حتى أخمص قدميه، وربّما لا يمكن للمرء أن يتخيّله أو يحسّ فيه، في غير هذا الوضع .

وكذا امتزاج الفضيلة بالأصالة، وارتباط الهدف بالسمو ... كلّ هذه المفارقات الرائعة، التّي يقف العقل مشدوها أمامها، فلا يملك المرء إلّا الوقوف متأمّلا روعة المنظر وتأثيره الأخاذ دون أن يحير أي جواب !!

التربية على الاعتدال

تسود حياتنا الكثير الكثير من أنماط السلوك التي نمارس فيها الغلو، ويستوي في هذا محافل السرور والفرح من ناحية، أو محافل العزاء والحزن من ناحية ثانية... التربية على الاعتدال مطلب يعوزنا تطبيقه في كل نمط من أنماط السلوك ، ففي مجال الفرح والسعادة، نمارس حالة من السلوك أبعد ما يكون عن ممارسة الأمم المتحضّرة، حتى إنّنا لننتظر من الدنيا الوقوف لحظة تعبيرنا عن فرحنا، فنحن بلا مواربة غير البشر في هذا السياق، حيث نمارس اشتطاطا كبيرا، مع أن المنهج المطلوب في هذا السياق هو ما ورد في قصّة قارون الواردة في سورة النمل في القرآن الكريم، والقائمة على الاعتدال في الفرح :

"**إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا**"، وذلك عندما وجد الدنيا غير متسعة له في لحظة من اللحظات التي أخذته فيها الكبرياء والخيلاء التي لا تليق بسويّ متوازن الخلق، ولذا ألم يئن لنا أن نعيد النظر في طريقة التعبير عن الفرح، وإننا لا زلنا بعيدين كل البعد عن مصاف الأمم المتحضرة، وإنّ كنا نستخدم معطيات المدنية التي أنتجتها الأمم المتحضرة، التي لا زلنا عالة عليها في هذا السياق، ويبدو أن هذا الزمن سيطول !

مرور الأيام

ما أسرع ما تمر الأيام ! لكأنها طيف من خيال .....أمسِ كنّا .....أمسِ ذهبنا ....وأمسِ عملنا ..... ولكن وبجرة من قلم، أو بلمحة سريعة من بصر، نصحو من غفوتنا تلك، لنجد أنفسنا أمام الحقيقة الماثلة للتو أمامنا، ها نحن قد وصلنا المحطة الأخيرة أو كدنا، والشاخصات الإرشادية لا تفتأ طول الطريق المسلوك، وهي تبين ما يلزم للمسافر من إجراءات، كي لا يظل الطريق ، ولا زال يحدونا الشوق إلى ما لم نستطع تحقيقه عبر محطات العمر المتعدّدة التي جاوزناها، لكأن وقع الأيام التي عانيناها لم تؤثر فينا، ولكأننا ننشد المعاناة ونتلذذ بآلامها فنقول لها: هل من مزيد !

عجيب أمرنا فعلا ! تأكل الأيامُ والليالي ذواتِنا شيئا فشيئا دون أن نعاين ذلك، أو نحس بها إحساس من خبر صروفها بعد ان عاش ظروفها ! ولكأننا نصبو إلى الخلود وهو محال! نعلم ذلك علم اليقين، وفي روع كل واحد ماثل قول الجاهلي الذي يرنو إلى الخلود والتشبث بالحياة عبر تلك الرؤية البائسة:

ما أحسن العيش لو أن الفتى حجر....تنبو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ !

ذكريات الجدَّات

لم أكد أطل بوجهي من باب غرفتهم الوحيدة حتى تستقبلني المرحومة جدتي: يا هلا يا هلا يا هلا (ثلاثا)... ذلك الترحاب المميز الذي كنت أحظى به كلما جئتها صباحا... لابأس فأنا الحفيد الوحيد في العائلة الممتدة وقتئذ، كما إنّ حضرتي بكر ابنها الأكبر، ولعلها تطبق مقولة: (ما أغلى من الولد إلا ولد الولد)، لكن الغريب في الأمر، أنني بقيت محافظا على المكانة ذاتها، مع أنه صار هناك غيري من الأحفاد في المنزل الممتد من الإخوة وأبناء العمومة، وبقيت أحظى بتلك المنزلة المميزة بين الأحفاد، ولا أدري لماذا لم تتغيّر طريقة التعامل بعد أن كبرت نوعا ما، وما سر الاحتفاظ بهذه المنزلة .

جدي ذلك الرجل الوقور الجاد في معالجة الأمور، لم يكن بدرجتها أبدا في الحب، فكان مصرّا على أن يعاملني على أنني رجل المستقبل، فلا داعي لمزيد من الدلال والدلع، بل كان يعرضني إلى العديد من المواقف التي لا تدع لي خيارا إلا أن اتصرف، مع بعض الإرشادات والتعليمات الضرورية.

ظلت جدتي على تلك الحال، فأحظى ببعض الحلويات لديها التي تضعها في (السبت)، وهو صندوق خشبي مستطيل له مجموعة من الأبواب والجوارير، ويستعمل لوضع الفراش عليه حال عدم

الحاجة إليه . فكانت الحلويات عبارة عن (chعجبان أو مخشرم أو بيض حمام)ثم لا تلبث أن تغلقه دون أن أعرف محتوياته ، ولكن فضولي قادني لمعرفة واكتشاف محتوياته ، فرأيت سمنا وزبدا و(سفط)حلو من نوع (ناشد إخوان) السوري المنشأ وحلاوة .

مرت الأيام فكبرت، وعندما قررت الدراسة في معهد المعلمين في حوارة، فقد كنت مضطرا للمبيت أياما خارج المنزل حسب النظام الداخلي في المعهد، فقد آلمها ذلك كثيرا ، إذ كيف سأغيب عنها تلك المدة، لازمتني وأنا أجهز حقيبة ملابسي، حتى إذا أزمعت السير ماشيا، شيعتني حتى آخر مكان تتمكن من الوصول إليه، وظلت واقفة مودعة ترقبني وأنا أتلفَّت إليها وهي على حالها التي برحتها فيه، حتى تواريتُ خلف المنعطفاتِ في الطريق إلى إربد، وكأن إحساسا كان عندها بأنها لن تراني بعد تلك الغداة، وكذا كان تشبثها بي تلك المرة .

جربت الحب والغلا: صغارا وكبارا، أقارب وأباعد، ولكنني لم أجد مثل حب جدتي !

الجبل الأخضر

ثمة ارتباط نفسي قوي بين المكان والإنسان، وليس أجمل من الساعات التي تعيدنا إلى مرابع عشنا فيها ذات زمان أطيب الأوقات برفقة الطيبين الأنقياء؛ كانوا حينها طلابا صغارا على مقاعد الدرس يشاكسون ويلعبون ويتعلمون، وكان أهلهم لنا نعم الأهل والجيران، وها هم اليوم رجال آباء، كبار في حفظهم الود وصونهم العشرة!

منه بدأنا المشوار قبل خمسة وأربعين عاما، وإليه اليوم أعادنا الحب والوفاء، أعادنا الحنين إلى زمن الصدق والعفوية والرجولة الحقيقية، إلى مدارس وصفوف لا زالت بعض بقاياها شاهدة عليها، وإلى دروب طويلة ومتعرجة مشيناها على الأقدام، إلى بيوت لا يزال دفؤها يسري في أجسادنا وقلوبنا حتى اللحظة، ولا تزال مذاقات صحونها الغادية والرائحة والملآنة بالخير عالقة في الذاكرة، إلى سهرات حميمة حول "قبة نار" كانت تؤججها حرارة الأحاديث والحكايا، التي كان يفعمنا ويفحمنا بها المرحومان الحاجّان: حسن وسليمان السلامة العمارات.

مشاعر وأحاسيس كثيرة ومختلطة ما بين فرح وحنين انتابتنا في زيارتنا إلى منطقة الجبل الأخضر(**الراس الأقرع حينها**)، بحضور لفيف من أبناء عشيرة العمارات، لنحظى بكل حفاوة وكرم عربي

أصيل، ولعلّ مما زاد الأمر جمالا أن نرى النبتات التي رعيناها فترة من الزمن قد أينعت، وأنّ من كان الفسيلة قد أصبح شجرة مثمرة، وأن نرى مقدار ما يحملونه لأساتذتهم من حب وامتنان..

سمات قيادية

من لا يشكر الناس؛ فهو بالضرورة لن يشكر الله، حب الثناء طبيعة إنسانية تريح النفس، وتجعلها تكرر السلوك الحسن كما يرى المنطق النفسي، الثواب والعقاب من المبادئ الأساسية في التربية وعلم النفس، ووسيلتان تربويتان لهما..... أشياء كثيرة مما يغص بها أدبنا النفسي والتربوي وموروثنا الحضاري.....ترى هل يمكن لعجلة الزمان الاستدارة إلى الوراء كي يسترجع الجهد المبذول من قبل الإنسان الجاد ؟؟؟ لا يمكن ذلك بأي حال من الأحوال، ولكن ربما كانت كلمة الثناء والشكر التي لا تكلف عناء، هي تلك اللمسة الحنونة والبلسم الشافي، وهي المخفف لكل صعوبات المعاناة التي أحس بها المرء أيا كان هذا المرء أثناء مكابدة صعوبات تنفيذ العمل، فلا يكفي أن تكون ملهما كي تكون قائدا، بل لا بد أن تكون محفّزا ومعززا كذلك، ويستوي في ذلك أثناء قيادة الفريق مهما كانوا صغارا أو كبارا.. جالت كل هذه الأفكار بخاطري ولسان الحال:

يهوى الثناء مبرّزومقصّر.... حب الثناء طبيعة الإنسان !!!!

مُلحق

بأقلامهم كتبوا إضاءات وقراءات نقدية

حول كتاب

إذا أينع الخاطر

بطاقة تعريفية بالكتاب

"إذا أينع الخاطر" للأديب "د. تيسير السعيدين".

بقلم الروائي: محمد فتحي المقداد

صدر حديثًا كتاب "إذا أينع الخاطر" للدكتور "تيسير السعيدين"، في مضمار الخواطر، والخاطرة جنس أدبيٍّ قديم قدم الإنسان ومشاعره وخواطره؛ وعلى قول النفري: "إذا اتّسعت الفكرة ضاقت العبارة"، بمعنى إذا حاز الكاتب فكرة بتجليّاتها، ومهارة الكاتب تتّضح بطريقة إدارة فكرته، وفي أي مسلك سيسلك بها لإيصال رسالته وهدفه للقارئ والمستمع.

ومنذ القديم هناك من كتبت الخواطر مثل "ابن الجوزي" وكتابه "صيد الخاطر". وأشهرها حديثًا كتاب "هكذا علمتني الحياة" للدكتور "مصطفى السباعي"، والاستشهاد بمثالين يكفي، لكثرة تعدُّد المُسمَّيات قديمًا وحديثًا، وتستمرّ قوافل الخواطر في بحار الأفكار المُتلاطمة برؤوس الأدباء والكُتّاب، وبالتوقّف في ظلال كتاب "إذا أينع الخاطر". للتفيُّؤ والاستمتاع بروائع الفكر، وقطف شيء من إيَناعه.

وبسؤال للأستاذ "تيسير" عن ماهيّة الخاطرة، وكيف يستطيع تعريفها، أجاب: (ليست أكثر من فكرة طارئة ولمحة عارضة، لم

تصل مراحل النضج، ولم تتعدّ حدود الحاضر المعيش، فصادفت وجدانا يقظا متوقّدا، وقوة في الملاحظة واللمّاحيّة فيما يعرض من أشياء، فتقدح في ذهن الكاتب نورا في لحظة شعورية، وتتفاعل معه متجسّدة على الأرض، تلك هي الخاطرة كما تراها أدبيّات هذا اللّون من الكتابة). وفي تخصيصه لهذا اللّون الأدبيّ كتابًا مُنفردًا بخواطره. قال: (ولعلّ مُداعبة هذا الصّنف من الكتابة، والسّباحة في مياهه، والنسج على منواله، ومحاولة إفراغ ما في ذات الكاتب عبر قنواته، يحتّم الالتزام بما له من فنيّات). يُستَنتَج من هذه العبارة أنّها تُلبّي حاجة لدى الكاتب، ونافذة تعبير للتواصل عبر المقروء والمسموع.

قبل الانطلاق من إشكاليّة العنوان المنظورة، إلى ساحات ومساحات الكتاب، وبتحليل بسيط للعنوان "إذا أينع الخاطر" فهو جملة مفيدة مسبوقة بأداة شرط، وفي هذا السّياق لفت انتباه لأمر صادم، لأن جواب الشرط محذوف، ولم يكن متروكًا للتأويلات المُتأرجحة ما بين الماديّة والمعنويّة إنما عُرف بدلالة السّياق، مفهوم (الإيناع. أينع. أينعت) كمال النّضوج في مواسم، وكلمة "الخاطر" المعرّفة إنّما للتخصيص وجاءت بعد الشرط؛ للإشارة إلى شيء بعينه، ألا وهو هذا النّتَاج الورقيّ للكتاب موضوع هذه النّبذة التعريفيَّة.

لا بدّ من تذكر عبارة "الحجّاج بن يوسف الثقفيّ" في خطبته الشهيرة عندما تولّى إمْرة العراق: (إني أرى رُؤوسًا قد أينعت وحان قطافها). لم ينتقل العنوان لموضوع القطاف، والتذوّق لثمار أيًّا كان نوعها. لتأتي الصّدمة عند كلمة "الخاطر" لتكتمل الرؤية برسالة مفادها جوابًا بهذا الكتاب.

وعلى حد وصف المؤلف لكتابه حينما سئل عن ماهيته ومضامينه التي احتوى عليها، أفاد: (فقد تألّف من نيّف ومئة من الخواطر، التي تضمّنت صنوفًا متعدّدة من المواقف الواقعيّة التي عرضت له في الحياة، فلامست مشاعر وأحاسيس كاتبها، لافتة انتباهه إليها، فلمعت إضاءة مشكّلة لديه نوعًا من التأثّر، فراح يفرغ مضامينها عبر هذا النوع من الفنّ، وموظِّفا رُؤاه وقناعاتِه الذاتيّة في النّصوص التي أوردها في المجموعة).

وفي الختام، يُعتبَر هذا الكتاب هو حصيلة تعب وجهد واضح مُضنٍ؛ قام على جهد فكريّ جادٍّ، وعميق الدلالات بنهج إصلاحيٍّ واعٍ لرسالته، وللهدف الذي كُتب من أجله؛ ليوصف فِكْر كاتبه: بـ(حكمة الشُّيوخ) الجادّة الواعية المُتأنيّة؛ تقول كلمتها الصّادقة لمن ألقى السّمع إليها، وهو شهيد على الحالة بوقتها وزمانها ومكانها؛ وليكون لبنة صالحة لما فيه خير البشريّة جمعاء بلا تمييز.

استبدال الطاقة السّلبيّة بأخرى إيجابية

في مجموعة " إذا أينع الخاطر" للدكتور تيسير السعيدين

بقلم. د. سلطان الخضور

جميل ان يزرع الدكتور تيسير في حديقته هذا العدد من النصّوص التي جالت في خاطره، وجميل أنه أنتظر وقتًا ناف عن العام حتى أينع زرعه واستوى على سوقه، ولمّا أيقن أن قطافه قد حان نثره علينا لنتذوق طعم ما غرس، والأجمل أن نرى هذا العدد من النصوص وما فيها من سلوكات

سلبية، محاولًا الاستعانة بالمتلقي لعلّه يسهم باستنكارها وتعديلها بطرد الطاقة السّلبيّة التي احتوتها، وتحويلها إلى إيجابيّة. وهذا يقودنا إلى استنتاجين، الأول أن الكاتب حدد هدفه مسبقًا، وإلّا لما كان هذا الانسجام في غرض الكتابة ونتاجاتها، والثاني تصالح الكاتب مع نفسه ودلالته التّوافق ما بين النّصوص وشخصيّة الكاتب التي نعرفها شخصيّة اجتماعيّة ودودة ومعطاءة، ورغم كثرة البقع السّوداء التي احتوتها النّصوص، لم تستطع خفض منسوب الحث على الانتماء الذي باحت به.

والخاطر على العموم يبدو مشحونًا بالمفردات والصّور ما استوطن منها وما عبر. هذا الخاطر إذا باح، فإنّ بوحه يظهر على

محملي السّلب والإيجاب، ويستقرّ في واحدة من كفتي الميزان، قد ترجح كفّة على كفّة قليلًا وبنسب متفاوتة، والأمر يعتمد على من يبوح، على تربيته وعلى ثقافته وتعلّمه، وعلى بيئته، والبوح يظهر بسلوك مرحب به أو مستنكر ويخضع لحكم من يتأثّر بهذا السّلوك وبتركيبته النفسية والأسريّة، ونحسب الكاتب هكذا، فهو رجل تربوي ذو خبرة ودراية في طرق تعديل السلوك.

عندما قرأت المجموعة، وجدت أن الكاتب فيما نشره من نصوص في مجملها أقرب إلى المقالة منها إلى الخاطرة، وللهروب من هذه الجدلية سأستعين بمفردتي نص ونصوص على حالتي المفرد والجمع، فالكاتب لم يركّز على التجنيس الادبي بقدر تركيزه على الهدف وهو بث الطاقة الإيجابيّة كم أشرنا واستنكار الطاقة السّلبية التي تظهر من خلال سلوك بعض الافراد وبعض الجماعات.

وتكمن قوّة النصوص في نظرتها المتفائلة ومحاولة بثها لفكرة الخير ومفاهيم العطاء والانتماء في السّلوك، على المستوى النّظري والعملي مما يساعد على تجاوز المصاعب والوصول إلى حياة مطمئنّة وهادئة، عكس السّوداويّة والتي تبعث في النّفس حالة من الاضطراب وعدم الطّمأنينة والاحباط والقلق وعدم الرّاحة، مما ينعكس سلبًا على الجو المحيط.

أدرك الدكتور السعيدين المفهومين، وأدرك النتائج التي تترتب على كل منهما، ومؤشّرات النّصوص ودلالاتها تشير أن الطاقة السّلبيّة إن لّم يتم التخلّص منها، قد تسبّب الألم على الصّعيدين الفردي والمجتمعي، وتزيد من الضّغوطات التي يسعى كلٌ منا ليكون في منأى عن تأثيراتها، سعيًا للوصول إلى مجتمع أكثر استقرارًا وأكثر سعادة، ولذلك عمد الكاتب في نصوصه إلى استنكار كل ما كانت الذاكرة قد خزّنته من صور للطّاقة السّلبيّة واستبدالها بالإيجابيّة بشكل مباشر أو بصيغة القفلة السّريعة التي تحمل التعجّب أو الاستفهام الاستنكاري، أو التّعبير المباشر عن عدم الرّضا.

ولأن الكاتب يدرك خطورة وجود الطاقة السّلبيّة إذا تحوّلت من طاقة كامنة إلى فاعلة، وبحكم الخبرة، فقد حاول من خلال كتاباته السّير باتجاهين، الوقوف على الكثير من نتاجات الطّاقة السّلبيّة بتسليط الضّوء عليها، لعل فاعلها يشمئز منها وينتقل إلى الاتّجاه المعاكس فيحيلها إلى طاقة إيجابية، أو البث المباشر للطّاقة الإيجابيّة في نفس المتلقّي سعيّا للإسهام ولو بالكلمة المكتوبة في عمليّة الاصلاح الاجتماعي.

والوقوف على عتبات الكتاب، يقتضي التأمّل بالعنوان" إذا أينع الخاطر" وهنا بدأ الكاتب جملته بأداة الشرط " إذا" فجاء بإجابة محذوفة لجواب أداة الشّرط من خلال نصوصه التي احتواها

الكتاب، فهو يرى أنّ الخاطر وبإيناعه قد حقق الشّرط فكان الكتاب بما احتوى، وأينع تعني أنّ القطاف قد حان، والقطاف يكون للثمر وللزهر إذا أينع، وجاء محتوى الكتاب ثمرة لجهدٍ كان مختزنًا، أينع فحان موعد البوح به، والذي باح هو خاطر، والخاطر ما يستقر في القلب والنّفس، فقد يخرج من النّفس المطمئنّة فيصدر على هيئة إلهام ويرتقي إلى أعلى درجات سلّم الإيجاب، أو يخرج من نفسٍ أمّارة بالسّوء فيعبّر عن هواها ويهوي بها إلى قعر وادي السّلبيّة الذي يستوطن القلوب العمياء.

ويجد المتلقّي بين دفّتي الكتاب، فيضًا من الشّحنات الإيجابيّة التي تريح النّفس وآخر من الشّحنات السّلبيّة التي تعذّبها، والنّفس في ديننا إما أمّارة بالسّوء أو لوّامة أو مطمئنّة، وقد لاحظ الكاتب بنفسه المطمئنّة وبصيرته اليقظة هذه الشّحنات، فعاينها معزّزا ما استطاب منها وواضعًا أصابعه على جراح مجتمعيّة، سعيًا لتضميدها وطرد السّلبيّة منها مستعينا بالحكمة وبالموعظة الحسنة.

وسعيًا لتوكيد ما ذهبنا إليه، فقد اتبعنا منهجيّة الاستعانة بالصّور التي تمكنّا من التقاطها من خلال مجموعة من النّصوص اخترناها على التّوالي لنوضّح مكامن الطّاقتين:

يقول الدّكتور تيسير في نصّه الأول تحت عنوان" كاميرات" ما يفيد أنّ الانحدار الاخلاقي وصل القاع، حين أجبر أصحاب الشّأن على وضع كاميرات المراقبة على مداخل المدارس، لأن الحرّاس تخلّوا عن دورهم وجعلوه وسيلة للتكسّب دون عمل، فهو يرى ان ذلك مؤشّر على قلّة الانتماء، بعد أن كان النّاس حريصين على المدرسة حرصهم على بيوتهم، حيث كانوا يسهمون بزراعة الاشجار ويتعهّدونا بالسّقاية والرّعاية، ويشير إلى فشل المؤسّسات التّربوية والتّعليميّة في غرس قيمة الانتماء مستنكرًا سلبيّة الطّاقة التي تصدر عن المجتمعات المحليّة وفي ذلك دعوة واضحة إلى إعادة النّظر بالقيم المجتمعيّة السّائدة.

وقد ميّز الكاتب في نصّه الثاني الذي حمل عنوان " قيادة" الفرق بين القائد والمدير بالإشارة إلى ذلك بشكل غير مباشر، حين ذكر أنّ الانسان مولع بالسّلطة والجبروت منذ نزوله على الارض، وهذا الولع لا يقود إلّا إلى الخسران، لكن مفهوم السّلطة قد تغيّر مع التغيّر الإيجابي في مفهوم الإدارة فمن مدير محتكر للسّلطة واتّخاذ القرار، إلى قائد يستفيد من آراء فريقه وقال ما نصّه "أنّ القائد الفذّ هو من يربّي حوله مجموعة من الاشخاص كل منهم يصلح أن يكون قائدًا" وهذا يقتضي التنويه أن التّمكين الإداري يقتضي أن يزوّد كل فرد في المؤسّسة بالمعلومات والادوات التي تمكّنه من اتّخاذ

القرار دون الحاجة إلى العودة لمديره، وما هذا إلا بثٌّ للطاقة الإيجابيّة في النفوس لتشفط السّلبيّة منها.

وفي "التّربية بالرّدع الاجتماعي" وهو عنوان النّص الثالث نجده يتحدّث عن تنوّع النفس البشرّية، فمنها حين المشكلات والمنغّصات من هو إيجابي يرتدع بالتفاهم والحوار العادي البسيط، وهو الأقرب إلى الحقّ - كما أشار- ومنها من هو سلبيّ ماهر في المراوغة ويستمر في غيّه، فلا يذعن للحق إلا عن طريق القضاء، ومنها من لا يرتدع لا بهذه ولا بتلك، فيستخدم أسلوب الفجور والافتراء لتطال شروره فئة كبيرة من المجتمع المحيط، ما دام في المجتمع من يتملّقه وينافقه، وقد قسّم النّاس إلى أربعة أقسام منها قسم واحد إيجابي والبقيّة وضعهم في دائرة السلبيّة، وهذا الأمر يحتاج إلى جهد دؤوب ليقود السّلوك غلى الاستقرار الايجابي.

أما " أصالة" بما تعنيه الأصالة في لغتنا وفي سلوكنا، وما تحمله المفردة من طاقة إيجابيّة فقد تحسّر الكاتب على الماضي وما كان يحمله من مقوّمات الرّاحة ومن متطلّبات الرّفاهية، وعقد مقارنة مع الحياة هذه الأيام وما تتّصف به من رتابة وروتين تسبّب الإرهاق المادي والمعنوي لكثرة ما لها من متطلبات وما ترتّبه من التزامات، وتطرق في هذا النّص إلى حل الخلافات التي كانت تحصل في المجتمع وطرق حلّها ببساطة القدماء وطيبتهم، إلا أنها تعقّدت هذه الأيام

ولم يعد بمقدور النّاس السّيطرة على من يتّصفون بالمكر والخداع وفنون التجنّي والافتراء.

تلك المجتمعات على بساطتها بالماضي كانت تطلق الطاقة الإيجابيّة بعفوية.

ويبقى الكاتب في النص التالي يتحسر على مرابع الصّبا، فنص " أطلال" احتوى على جملٍ تحاكي جمال الطّبيعة وهي تراقص أشعّة الشّمس التي عشقت الصّباح على وقع زقزقة حسون يشدو، ويقول الكاتب أنّه يحاول أن يعيش الحاضر بتفاصيل الماضي مبديًا حسرته على ما مضى، ومتمنيًا لو أن الأيّام أبقت على تلك الأجواء الجميلة، ومستحضرًا بيت شعر لأبي نواس:

يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام

وفي انتقاد مباشر لمن ظنّوا أن الأرض تدور حولهم والّذين شبّهم بالدّيكة حين تظنّ أنّ الشّمس تشرق لأجلها، هؤلاء يعتقدون ان الحقيقة استقرّت في حروجهم، لا يحبون رؤية غيرهم وقد علا شأنهم، فأنفاسهم تنضح بالأنا، ولا تفهم إلا السّلبية في الفعل والقول، خاطب الكاتب هؤلاء بقوله" على رسلكم يا سادة، فلا تكونوا كالعصي في الدواليب، وفي ذلك نبذ لما يختزنونه من طاقة سلبية واستبدالها بأخرى إيجابية، وهذا يذكّرني بجملة "إن أسعد الناسِ من أسعد الناسَ".

والصّبح إذا تنفس وخاصّة في ساعته الأولى له مذاق خاص، والشّمس إذا أشرقت بعثت معاني الأمل وبثّت نفحات من الأوكسجين الممزوج بالإيمان، فكيف بالصّباح وإشراقة الشّمس إذا خالطتها مناظر الطّبيعة الخلّابة وشدو الحساسين، كما أشار الكاتب في نصّه السّادس تحت عنوان" على وقع الطّبيعة". إني به يحاول الهروب ولو بذهنه مما يواجه العالم اليوم من ضغوطات، مستخدمًا أسلوب الإشارة إلى عالم تعايش معه ومع أجوائه الريفية التي تبعث الأمل، وتجبر الفرد على التأمل، وتشحن الذّات المتأمّلة بنفحات إيمانيّة، مستعينًا ببيت الشّعر الذي ورد على لسان أحمد شوقي:

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري حتى أريك بديع صنع الباري

ولأن محاولة بثّ الطاقة الإيجابيّة تقتضي القدرة على الحوار وتقبل الآخر، فإننا نورد الملاحظات التاليات في حالة من الطّمأنينة.

- مفردات الكتاب جاءت بالعربية الفصيحة الميسّرة والمباشرة البعيدة عن التّقعير وعن الرّمزيّة.

- هناك علاقة مباشرة بين النص والعنوان، إذ جاءت الجمل منتمية بنسبة عالية جدًّا.

- جاءت النّصوص معنونةٌ ومفقّرة ومرقّمة بعلامات الترقيم أينما اقتضت الحاجة.

النّصوص بمجملها تعبّر عن مكنونات النّفس وما فيها من دعوات للخير، والسّعي للتخلّص من المواقف السّلبيّة التي يمقتها كل عاقل.

والآن أقرأ لكم نصًا بعنوان " نوارس" كما ورد في الكتاب:

(هي النوارس وحدها دون غيرها من البحريّات التي تعرف قيمة الشّواطئ والسّواحل بالنسبة لها ، إذ أن هذه الشّواطئ ربيعها ومهدها، فلا تجد لذاتها السّعادة في سواها من الاماكن، لذلك فإنها تبدو كئيبة وحزينة كلما ابتعدت عن سواحلها التي طالما لثمت أسطح مياهها، وهي تذرع المسافات جيئة وذهابا، وحلقت فوق أديم سمائها، فتظل تنشد أن تؤوب إليها كلما أقصيت عنها، مسرّحة نظرها عبر المجهول، لعل طائر الفينيق يعود منتفضًا بعد احتراقه، كي يعيش الخلود المطلوب.)

إطلالة حولَ الموروث التربوي والاجتماعي

في كتاب "إذا أينع الخاطر" لمؤلفِهِ د. تيسير السعيدين

بقلم الأديب رائد العمري

إن الناظرَ في كتاب "إذا أينعَ الخاطر" للمربي الفاضل والكاتب الملتزم الدكتور تيسير السعيدين سيجدُ نفسهُ أمامَ مثقفٍ حصيفٍ، لديهِ موفور من المخزون اللغوي والثقافة التربوية والأدبية، والتي وظَّفها جميعًها في نصوصهِ في هذا الكتاب المنوَّعِ بينَ الخاطرة والموعظة والسرد القصصي والرسالة الموجهة والمقالة، مستندًا إلى معرفتهِ في أسبار اللغةِ وشواهدها الشعرية والأمثالِ الشعبيةِ المتداولةِ على ألسنةِ العامة، وتخدمُ فكرتَهُ التي يبثها في نصوصه، والتي في مجملها تعالجُ قضايا مجتمعهِ وأمتهِ، كما لا تخلو من جمالياتِ الوصفِ المُتقَنِ المدهشِ في كثيرٍ من تلكَ النصوص التي تجعلُكَ تنتقلُ من خلالها لما تعايشهُ ذاتُكَ او تراهُ فيمن حولَكَ، فالكاتِبُ أرادَ أن يسيرَ في نهجهِ على ما ينفعُ الناسَ،

ويهذّبُ طباعهم، ويوقظهم عن غفلةٍ هنا، أو عن عادةٍ سلبية هناكَ، وما يقومُ بهِ البعضُ من سلبياتٍ يحاولونَ تبريرها وإيجادَ مسوغاتها كالمحسوبية، واستغلالِ المناصبِ، والعنجهيةِ والتعالي عندَ البعضِ، كما يحاولُ أن ينتقدَ مجتمَعهُ وصولًا إلى المدينةِ الفاضلةِ التي يريدها لنفسهِ ولمجتمعهِ بالأكملِ..

وبما أنَّ الكاتبَ قد خدمَ في التربيةِ والتعليمِ أكاديميّا، إضافةً إلى أنهُ ابنُ ريفٍّ محافظٍّ فقد انعكسَ هذا في توجيهاتهِ من خلال ما جالَ في خاطرهِ، ووثقّهُ في هذه النصوص فقد بدأ نصوصهَ بالنصوصِ التي عكسَت واقعَ المدارسِ بكلّ عناصِرها من طلبةٍ ومعلمينَ وقياديينَ ومستخدمينَ وعاداتهم قديما وحديثا، بعقدِ عدةِ مقارناتٍ بينَ ما كانت عليه وما آلت إليه الآنَ في واقعنا المُعيشِ، وكيفيةِ التربيةِ بالردعِ الاجتماعي، ثمّ لينتقلَ إلى الحياةِ العامةِ ببنَ الأصالةِ والأطلالِ التي يقفُ على أعتابها مستندًا لحكمِ المجربينَ، ثمّ ليعكسَ الواقعَ ورتابةَ الحياةِ المعاصرةِ وبعضَ سلبياتِ النفسِ البشريةِ، وبحثَ البعضِ عن المظاهرِ بدلا عن الجوهرِ، ثمَّ لينتقلَ لقضيةِ المؤامرةِ ناقدًا للسياسةِ المعمولِ بها من لَدُن البعضِ، ومُعرجًا على أوجاعِ الناسِ وبؤسِهم، وتقوقعِ البعضِ على قديمهِ دونَ أن يلاحقَ التطورَ مِن حولهِ، مِمّا يجعلُ البؤسَ نصيبهُ، فيَبقى يشكو المحنَ ولا يَعتَرِفُ بالمنحِ، ثمّ ينتقلَ في موضعٍ آخرَ للحديثِ في أدبياتِ الحوارِ والردّ، منتقدًا لِمَن لا يَسمعُ للآخرِ في حوارِ الطرشانِ كما يصفهُ، ثمَّ ليعرّجَ

نحوَ الأملِ على وقعِ نسائم الربيعِ دونَ إفراطٍ أو تفريطٍ، ومن غيرِ أن يُخزِّنَ الإنسانُ السلبيةَ والحزنَ، ثمَّ ينتقدُ نكرانَ البعضِ للمعروفِ، أو سذاجةِ البعضِ في تناقلِ رسائلَ لا تمتُ للحقيقةِ بشيءٍ وخاصةً في وسائلِ التواصلِ الاجتماعيّ، ثمَّ ليأخذَنا في مشهدٍ بحريٍّ مع تجربةِ النوارسِ وإرادَتِها القويةِ في خلقِ الأُلفةِ وقبولِ التنوعِ، والتعاملِ بالمنطقِ بدلًا من الترهاتِ، طالبًا منا التأملَ في محطاتِ الفرحِ والسعادةِ في هذهِ الحياةِ، وعدمِ إصدارِ أحكامٍ عامةٍ على الآخرينَ دون دليل مقنعٍ، ويضربِ لنا العديدَ من المواقفِ المتناظرةِ لنأخذَ العِظةَ فيها بكلِّ إرادةٍ، محذرًا من سرقةِ جهدِ الآخرينَ، ومتمسكًا بالفضيلةِ والفطرةِ التي فَطرنا الله عليها، ويعرّجُ على الحنينِ والحبِّ، الذي جعلَ له هندسةً يجبُ على واحدنا تعلُّمها وتنظيمها لتستقيمَ حياته، دونَ أن نكونَ بنظرةٍ أُحاديَّةٍ، مستشهدًا بحديثِ الجَداتِ ومورثِنا الشعبيِّ في علاجِ اللؤمِ والتخلفِ مليّنًا للطباعِ، ومُتَّبِعا لمنظومةٍ قيميةٍ ساميةٍ، ثمَّ ليعودَ بنا إلى الأدبِ ويذكرَ المتنبيَ وهلاكَهُ ومدرَسَتَهُ الشعريَّةَ التي عشِقَها الكاتبُ كما يصفُّ، وينتقلُ للتأسفِ الحقيقي لا الضحكُ على الذقونِ كما يصفهُ، وعدمِ أخذِ الآخرين بجريرةِ أحدِهم مُستَشهِدًا بحديثٍ نبويٍّ، فكاتِبُنا يَحمِلُ الموروثَ الدينيَّ الذي يستندُ إليهِ أيضا ويَشمَئزُّ من المواقفِ الرماديةِ...

هكذا تجولَ بنا الكاتبُ المثقفُ د. تيسير السعيدين في نصوصِ كتابهِ والتي لا مجالَ لإفسادِ كلِّ ما جاءَ فيها من خلالِ إطلالةٍ أشبَهُ

ما تكونُ بالانطباعيةِ المدهشةِ، ولن أزيدَ على ذلكَ إلا أن أقولَ إنَّ هذا الكتابَ يليقُ بأنْ يكونَ جمهورَهُ كلّ فئاتِ المجتمعِ دونَ استثناء مهما كانت أعمارهم أو ثقافَتهم أو مرجعياتِهم؛ فهو كتابٌ فيهِ من الفائدةِ الغنيةِ بالمتعةِ بأسلوبّ شيِّقٍ ومنوعٍ، ويمثّلُ تجربةَ تربويٍّ خبيرٍ وبلغةِ أديبٍ سلسةّ غيرَ مُعقدَة..

المؤلف في سطور

الاسم : تيسير حسين علي السعيدين.

مكان الولادة وتاريخها: أسعره - إربد/1958

البريد إلكتروني: d.Taiseer@gmail.com

المؤهلات العلمية:

-**الدبلوم في اللغة العربية** / معهد المعلمين في حوارة عام 1978

-**البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها** / جامعة اليرموك عام1985

-**الدبلوم العالي في التربية / أساليب تدريس اللغة العربية** - جامعة اليرموك عام 1985

-**الدبلوم العالي في الدراسات الإسلامية** / جامعة اليرموك عام 1989

-**الماجستير في أصول التربية** / جامعة اليرموك بأطروحة (**اتجاهات المديرين والمعلمين في مديرية التربية والتعليم لمحافظة إربد ، نحو التربية على العمل في إطار التربية الإسلامية**) عام 1994

-الدكتوراه في أصول التربية / جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأطروحة (**الفكر التربوي لدى جان جاك روسو : دراسة نقدية من منظور إسلامي** عام 2002 م

الخبرات العملية

- معلم لمبحث اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم الأردنية
- مدير مدرسة في وزارة التربية والتعليم الأردنية
- مشرف تربوي لمبحث اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم
- أستاذ مساعد في جامعة الملك خالد – قسم التربية وعلم النفس/ المملكة العربية السعودية

•حاصل على رتبة خبير تربوي في وزارة التربية والتعليم الأردنية عام 2011م .

البحوث العلمية :

-**دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف** ـ نشر في مجلة البحوث الأمنية /كلية الملك فهد الأمنية ، المجلد 14 ، العدد 30 ربيع الآخر 1426 ، مايو 2005م

-**القيم الخلقية في أدب صدر الإسلام** ـ مجلة كلية التربية – جامعة الأزهر ، العدد 127، ج 2 نوفمبر 2005م ، شوال 1426

- **الدور التربوي للأسرة في الوقاية من الانحراف الفكري** – نشر في مجلة البحوث الأمنية – كلية الملك فهد الأمنية ، المجلد 17 ، العدد 40 ، شعبان 1429هـ ، أغسطس 2008 م

-**حرية الإرادة في الفكر التربوي الإسلامي** – بحث مقبول للنشر في مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية – جامعة الملك سعود .

-**الآثار التربوية للفتن ومدى انعكاسها على سلوك المسلم** – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – تحت النشر

الكتب المنشورة

-" ما بعد الغياب " : مجموعة قصصية صادرة عن مكتبة دار الطلبة – إربد 2022

-" إذا أينع الخاطر" : مجموعة خواطر صادرة عن مكتبة دار الطلبة – إربد 2023

الفهرس

كاميرات..... 5

قيادة..... 7

التربية بالردع الاجتماعي..... 8

أصالة..... 10

أطلال..... 11

من حكم المُجرّبين..... 12

على وقع الطبيعة..... 13

حال وحال..... 14

متلازمات بشرية..... 15

مظاهر ومخابر..... 16

مؤامرة..... 17

ما وراء المنظور..!..... 18

تقوقع..... 19

بؤس..... 20

محن ومنح..... 21

أدبيات الرد.....22
حوار الطرشان.....23
على وقع نسائم الربيع.....24
إفراط وتفريط.....25
الاختزال السلبي.....26
مفارقة.....27
سذاجة.....28
مشهد بحري.....29
منطق.....30
تأمل.....31
أحكام.....32
موقفان متناظران.....33
إرادة.....34
خواطر ما بعد المنتصف.....35
أمرك.....36
فضيلة.....37

همسة في أذن المساء..... 38
قلووووووب !..... 39
موروثات ثقافية..!..... 40
عناد..... 41
تاريخ..... 42
إياب..... 43
طيّ صفحة..... 44
نوارس..... 45
حنيـــن..... 46
هندسة الحب..... 48
أحاديّة النظرة..... 49
أحاديث الجدّات..... 50
تخلّف..... 51
طبـــاع..... 52
منظومة قِيَمِيَّة..... 53
أسف على المتنبِّي..... 54

آسف..... 56
فتوى..... 57
إرث مدعو إلى الترجل..... 58
سعادة..... 59
ثقافة الاعتذار..... 60
نفحات فجريّة..... 61
مظاهر ومخابر!..... 62
عـــذر..... 63
هلّا نملة واحدة !..... 64
صيـّاد..... 66
تربيـــة..... 67
محاورة..... 68
انتظار ولا قرار..... 69
سلمى..... 70
وقود..... 71
عتاب مرّ..... 72

أمـــل..... 73
رثاء ذات..... 74
مساء ربيعي..... 76
(مجاكرة)..... 77
مفارقات..... 78
حسـد..... 79
ثقافة التصفيق..... 81
تقليد..... 82
مواقف..... 83
وجهة نظر..... 84
ثلاثيّة غرناطة..... 85
أبالسة البشر..... 86
حالـــة..... 87
قُبلتان..... 88
تزييـــف..... 89
منهج الكذب..... 90

مقاربات.....91
فطــرة.....92
دعوة.....93
عصاميّة.....94
بلطجة.....95
المواقف الرمادية.....96
أحــزان.....97
عقد قِـرَان.....99
التربية على الاعتدال.....100
مرور الأيام.....101
ذكريات الجدَّات.....102
الجبل الأخضر.....104
سمات قيادية.....106
مُلحق.....107
بطاقة تعريفية بالكتاب.....109
استبدال الطاقة السّلبيّة بأخرى إيجابية.....112

إطلالة حولَ الموروث التربوي والاجتماعي.....121
المؤلف في سطور.....125
الفهرس.....127

تمّ بعون الله وتوفيقه

كتاب

(إذا أينع الخاطر)

للدكتور تيسير السعيدين